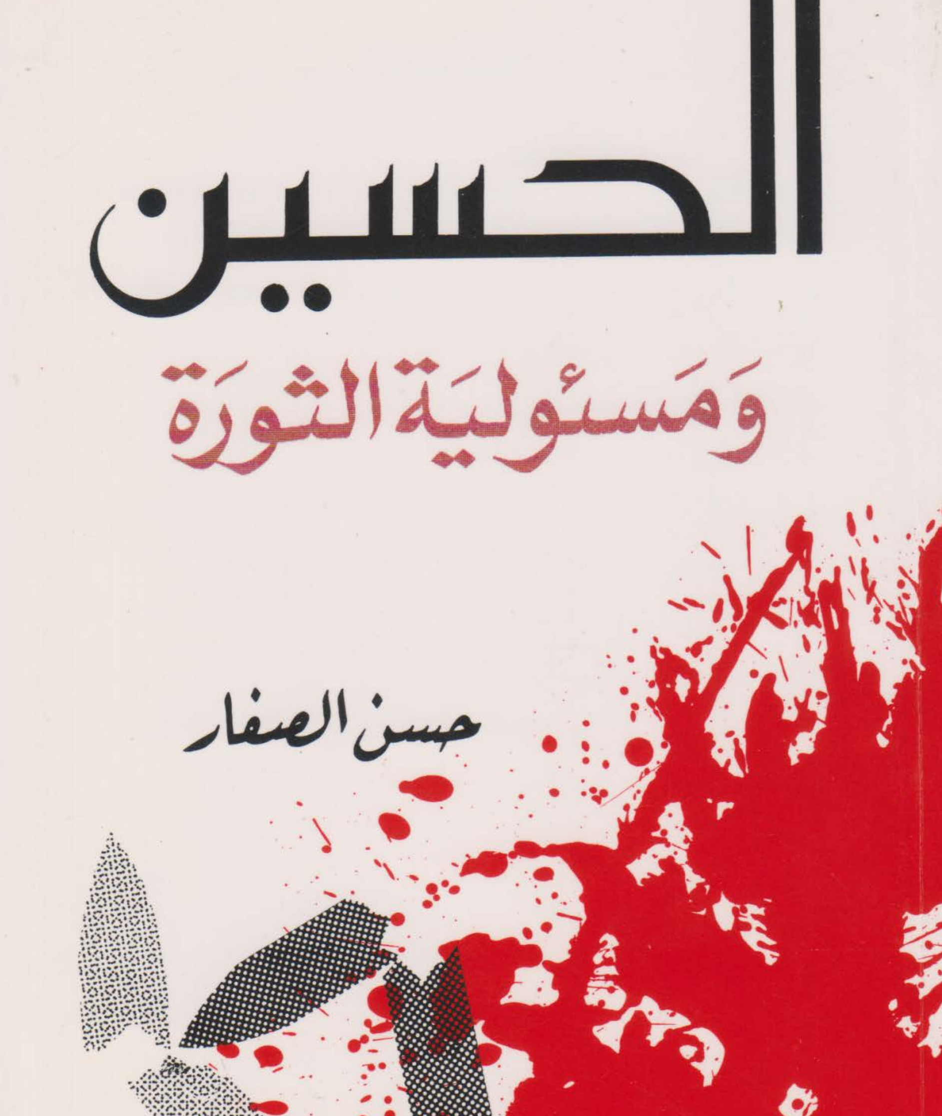
الحسين ومسئولية الثورة

حسن الصفار



دار البيان العربي


الحسين
ومسئولية الثورة

الحسين
ومسئولية الثورة

حسن الصفار



حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة السابعة

١٩٩١م - ١٤١٢هـ



دار البيان العربية

حارة حريك - خلف بنك بيروت والبلاد العربية: بناية صبحي ط ٣ . ت٨٢١١٤٢ - ص . ب
٢٥/٩٧ و ٥٧٨٩/١١٣ بيروت - لبنان تلفاكس ٨٦٣٤٦١ تلكس BACHAIR LE ٢٢١١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَّذينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ الله وَيَخْشَوْنَهُ
وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إلاَّ الله
وَكَفى بِالله حَسِيباً﴾

سورة الأحزاب - ٣٩ -

كلمة الناشر

كلما تقادمت السنين وتطاولت الأعوام تبقى ثورة الإمام الحسين رائدة عملاقة تشرف على الزمن . .

ومهما تحدث الخطباء وسطّر الكتّاب وانشد الشعراء تظل ثورة الإمام الحسين تختزن الجديد من المعاني والأبعاد . .

ورغم توالي الأحداث والثورات والإنتفاضات في تاريخ البشرية تحتفظ ثورة الإمام الحسين بخصائصها الفريدة و سماتها المميزة كمنهل وينبوع ومصدر إلهام لكل الأحرار والثائرين . .

وبمقدار ما يكون الحديث عن ثورة الإمام الحسين عميقاً وصادقاً ومخلصاً فإنه يشق طريقه بسرعة ونجاح إلى القلوب الظامئة للحق المتعطشة للحرية والعدل . .

لذلك لاغرابة أن يحقق هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء

الكريم (الحسين ومسؤولية الثورة) نجاحاً ورواجاً كبيراً حيث تلاقفته أيدي القراء ، وتعددت طبعاته في مختلف البلدان ، ولم تقف حواجز الحصار الثقافي أمام إنتشاره في بعض المناطق . .

لقد صدرت الطبعة الأولى للكتاب في الكويت سنة ١٩٧٦م وكذلك الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨م . أما الطبعة الثالثة فقد كانت على أيدي بعض الطلبة المبتعثين في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٩م ، والطبعة الرابعة صدرت في فرنسا عام ١٩٨٠م . وطبع الكتاب للمرة الخامسة في الجمهورية الإسلامية في ايران سنة ١٩٨١م وللإقبال على الكتاب فقد بادرت دار الحوراء في لبنان لإعادة طبعه سنة ١٩٨٦م . ونقدم الآن للقراء الكرام هذا الكتاب القيّم في طبعته السابعة مع إضافة فصل جديد كتبه المؤلف حول « رسالة المجالس الحسينية » . .

سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يحفظ الأستاذ المؤلف وأن يوفقه للمزيد من العطاء النافع والإنتاج المفيد وأن يوفقنا لخدمة الثقافة الرسالية والفكر الأصيل . .

المقدمة

حينما ينشر الظلم أجنحته على المجتمع ، ويمد سيقانه البغيضة في حياة الشعب ، فتضطر العدالة للإنسحاب من مواقعها ، ويبدأ الجور يسلب الحقوق والكرامات ، ويمزق المجتمع بمعاول الطبقية ، وتصبح المصالح و الرشوات هي لغة التعامل . .

حينما يسود الإنحراف حياة الناس ، فيصبح الدين إسما والقرآن رسما ، وتتبخر قيم الإسلام ومفاهيمه ، بينما تتورم طقوسه وقشوره ، ويصير المعروف منكراً والمنكر معروفا . .

حينما يتسلل إلى قيادة الأمة طغاة مستبدون ، يحكمون بإسم الإسلام وهم بقيمه يفتكون ولمبادئه ينسفون ، فرضوا أنفسهم بالإرهاب والقوة ، دونما أية مؤهلات أو كفاءات ترشحهم للخلافة والحكم . .

حينما تبتلى الأمة بمثل هذا الواقع ، وتعيش مثل هذه الحالة ، فما

هي مسؤولية الأمة ، وما هو دور الشعب وما هو واجب المؤمن ؟؟؟

لقد مرت أمتنا الإسلامية في وقت مبكر بهذه التجربة القاسية ، فأفرزت عدة نماذج يحتفظ بها لنا التاريخ ، وعلينا أن ندرس هذه التجربة بوعي وموضوعية ، ونتعرف على النماذج التي أفرزتها ، وعلى مواقف أصحابها ، ثم نعرض تلك المواقف على رؤى الإسلام ومفاهيمه ، لنرى أيها اقرب لروح الإسلام وأيها يجسد قيمه ومبادئه .

ومن خلال ذلك نعرف واجبنا ودورنا ومسؤوليتنا إذا ما إبتلينا بواقع الظلم ، وحياة الفساد ، وإنحراف القادة .

هذا ماتتحدث عنه سطور هذه الكراسة التي كتبتها بشكل سريع مساهمة في الإحتفاء بذكرى عاشوراء وتسليطا للضوء على مغزى هذه الذكرى وما تحمله من أبعاد . والله ولي التوفيق .

حسن الصفار

القطيف - ١ / ١٢ / ١٣٩٦هـ

ظروف الثورة

وسقط الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) صريعا في محرابه وقد سبقته قطرات دمه الشريف إلى مصلاه الطاهر ، بعد أن علاه سيف البغي على رأسه . .

وبقي على فراشه ثلاثة أيام ختم بها خلافته الرشيدة التي نعم الناس في ظلها بالحرية والأمن ، وانتهى بذلك عهد مشرق بالعدالة والمساواة ، ليبدأ عهد تعيس عانت الأمة فيه الظلم والكبت والتمزق والإنحراف والويلات ، وذلك حينما آل الأمر إلى بني أمية بعد أحداث جسام . .

فقد أصبح معاوية « اميراً » للمؤمنين وخليفة للمسلمين ، وبدأ في تطبيق برنامجه الجاهلي وكان من أسوأ بنوده مايلي :

أولاً : تمزيق المجتمع الإسلامي :

لقد صنع الإسلام بمبادئه الإنسانية الرائعة مجتمعاً متماسكاً

متعاوناً ، تسوده روح المساواة ، وتفنى في أجوائه كل جراثيم الأحقاد والصراعات العنصرية والقومية والقبلية والطبقية ، فالجميع أمام القانون سواسية ، وتقييم كل إنسان إنما هو من خلال كفائته وعمله ، ولاقيمة بعد ذلك للعنصر أو اللون أو الإنتهاء القبلي أو المستوى الإقتصادي .

يقول تعالى : ﴿ يايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[1] .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم فتح مكة : « إن الله تبارك وتعالى قد أذهب عنكم بالإسلام نخوة الجاهلية ، والتفاخر بآبائها وعشائرها ، أيها الناس : إنكم من آدم ، وآدم من طين ، ألا وإن خيركم عند الله وأكرمكم اليوم أتقاكم وأطوعكم له ، ألا وإن العربية ليست بأب والد ، ولكنها لسان ناطق ، فمن قصر به عمله لم يبلغه رضوان الله حسبه . . . »[2]

وعاشت الأمة الإسلامية تضامنا إنسانيا رائعاً لم يشهد التاريخ له مثيلا ، فبلال الحبشي أصبح أخاً لحمزة بن عبد المطلب القرشي ، وسلمان الفارسي صار كفرد من أسرة النبي ، وزيد بن حارثة أعتق وتزوج إبنة عمة النبي (صلى الله عليه وآله) .

ولما جاء الحكم الأموي رأى إن بقاء المجتمع بهذا الشكل من التماسك والتضامن ليس من صالحه ، بل يهدده بالسقوط والإنهيار ،

حيث سيتركز إهتمام الشعب على تصرفات الحكم وبالتالي قد يواجه النظام رفضاً عاماً وثورة عارمة من قبل كل الشعب . .

ولذلك بدأ معاوية يخطط لضرب وحدة الأمة ولتمزيق تضامن الشعب بمختلف الأساليب والوسائل ، فأذكى روح العصبية العنصرية حيث رفع مكانة العرب وحقر الموالي وسلب كرامتهم وحقوقهم وبلغ به الحال أن إستدعى الأحنف بن قيس وسمرة بن جندب وقال لهما : إني رأيت هذه الحمراء ـ الموالي والعجم ـ قد كثرت وأراها قد قطعت على السلف ، وكأني أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان ، فقد رأيت أن أقتل شطراً وأدع شطرا لإقامة السوق وعمارة الطريق !

وحاول إثارة النعرات القبلية بتفضيل قريش على بقية العرب ، وبإختلاق صراع عدائي بين المهاجرين والأنصار ، حتى إستدرج شعراء الجانبين للتورط في الصراع ، وأنشأ شاعر معاوية الأخطل في هجاء الأنصار ، ما جاء فيه :

ذهبت قريش بالمكارم كلها واللؤم تحت عمائم الأنصار

بل وأثار الأحقاد حتى بين قبيلتي الأوس والخزرج الأنصاريتين .

وعمل معاوية كثيراً على إشعال نار الأحقاد السابقة بين صفوف الأمة : فارسل ابن الحضرمي إلى البصرة سنة ٣٨هـ ليضرم الفتنة بين قبائلها بإثارة ذكريات حرب الجمل وقتل عثمان ومن توجيهاته له :

« فأنزل في مضر وإحذر ربيعة وتودد الأزد وإنع ابن عفان وذكرهم الوقعة التي أهلكتهم » .

وأوقع بين الشيعة والخوارج ، وهما فئتا المعارضة للحكم الأموي ، فأراد أن يشغل إحداهما بالأخرى .

والأعجب من ذلك ما يذكره الجاحظ من أن معاوية يحب أن يغري حتى بين قبيلته قريش ![3] .

فقد كتب إلى عبدالله بن عباس يريد أن يوقع بينه وبين الإمام علي (عليه السلام) إلا أن ابن عباس سخر منه ورد عليه[4] .

وبجهود معاوية البغيضة وخططه الجاهلية فقدت الأمة الإسلامية وحدتها وتماسكها وتحولت إلى جبهات متصارعة وفئات متناحرة .

ثانياً : الإرهاب ومصادرة الحريات :

كل حاكم ظالم لايطيب له أن يتاح المجال للرأي الحر والتفكير المستقل ، ولايمكن أن يرضى بوجود رأي معارض ، لأن أقل معارضة في ظل الحرمان والظلم كفيل بإستقطاب كافة أفراد الشعب ، وبالتالي نسف عرش الحكم وكسح مواقعه . ولذلك تجند السلطات الحاكمة كل طاقاتها وقواها لإقبار أي معارضة والقضاء عليها في مهدها .

وهذا ما صنعه الحكم الأموي فقد ضرب بيد من حديد على كل من يحدثه ضميره بالمعارضة أو يعتنق لرأي ثوري مهما كانت مكانة ذلك

المعارض أو شخصيته . فراح ضحية هذا الإرهاب الجائر خيار أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) وعظماء الأمة كالإمام الحسن بن علي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وحجر بن عدي وأصحابه وأشباههم من الثائرين المناضلين .

وكتب معاوية إلى عماله في جميع المناطق : أنظروا إلى من قامت عليه البينة : أنه يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان ، وأسقطوا عطاءه ورزقه . . ومن إتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به وأهدموا داره !

وولى سمرة بن جندب على البصرة فأسرف في القتل فقتل ثمانية الاف في فترة بسيطة حتى قال أبو سوار العدوي : قتل سمرة من قومي في غداة سبعة واربعين رجلا قد جمع القرآن !

وأغار سمرة بن جندب بأمر معاوية على المدينة : فهدم دورها وجعل يستعرض الناس فلا يقال له عن أحد أنه أشرك في دم عثمان إلا قتله ، وسبى نساء همدان وعرضهن في الأسواق فكن أول مسلمات أشترين في الإسلام !

أما زياد بن سمية فكان يجمع الناس بباب قصره في الكوفة يحرضهم على لعن الإمام علي (عليه السلام) فمن أبى عرضه على السيف ! وقطع أيدي ثمانين رجلاً لذلك ! .

ووجه معاوية بسر بن أرطاة إلى الحجاز واليمن في جيش كثيف ،

فقتل من الحجازيين فقط ثلاثين ألفاً عدا من أحرق بالنار ![5] .

وجاء في تاريخ الطبري : أن معاوية وجه عبدالله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة رجلاً إلى تيماء وأمره أن يصدق من مّر به من أهل البوادي (أي يأخذ منهم الزكاة والصدقات) وأن يقتل من إمتنع من إعطائه صدقة ماله ، ثم يأتي مكة والمدينة ويفعل ذلك .

كما وجه معاوية الضحاك بن قيس وأمره أن يمر بأسفل واقصه وأن يغير على كل من مر به ممن هو في طاعة علي من الأعراب ، ووجه معه ثلاثة الآف رجل ، فسار فأخذ أموال الناس وقتل من لقي من الأعراب ، ومر بالثعلبية فأغار على مسالح علي وأخذ أمتعتهم ومضى حتى إنتهى القطقطانة فأتى عمرو بن عميس بن مسعود ، وكان في خيل لعلي وأمامه أهله ، وهو يريد الحج ، فأغار على من كان معه وحبسه عن المسير [6] .

وقد ولى معاوية زياداً على البصرة فولى سمرة بن جندب عند رحيله عنها إلى الكوفة ، فأعمل السيف في رقاب الناس . ونقل الطبري قصة رجل سأل ابن سيرين عن سمرة قائلاً : هل كان سمرة قتل أحدا ؟

فأجابه : وهل يحصى من قتل سمرة بن جندب ؟

إستخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة ، فجاء وقد قتل ثمانية الآف من الناس ، فقال له : هل تخاف أن تكون قتلت أحداً بريئاً ؟

فرد عليه قائلاً : لوقتلت إليهم مثلهم ما خشيت [7] .

وبذلك سيطر الإرهاب والخوف على أرجاء المجتمع الإسلامي فأفقده كرامته وصادر حرياته .

ثالثاً : التلاعب بإقتصاد الأمة وخيراتها :

خلافا لما يراه الإسلام من أن وظيفة الحكومة هي تنمية إقتصاد الأمة ، والإنفاق من ثرواتها على ترفيه الشعب و تقدمه ، وإقامة المشاريع الحيوية والمصالح العامة ، فإن معاوية كان ينظر إلى ثروات الأمة كملك خاص له يتصرف فيه كيفما تشاء له أهواؤه ، وكان يقول : الأرض لله وأنا خليفة الله فما آخذ من مال الله فهو لي وما تركته كان جائزاً لي ! وورد أن معاوية إنتقل من بعض كور الشام إلى بعض عمله ، فنزل منزلاً بالشام فبسط له على مرتفع مشرف على الطريق ، فمرت القاطرات والرحائل والجواري والخيول ، فالتفت إلى جليس له ، فقال ياإبن مسعدة . رحم الله أبا بكرٍ لم يرد الدنيا ولم ترده الدنيا ، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها ، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابت منه ، وأما نحن فتمرغنا فيها ، ثم كأنه ندم فقال : والله إنه الملك آتانا الله إياه[٨] .

وفوق ذلك صار يتفنن في إمتصاص دماء الفقراء والكادحين ، وإثقالهم بمختلف الضرائب ، فقد فرض على الأهالي أن يقدموا له ضريبة يوم النيروز كهدية فكان يجمع بإسم ذلك أكثر من عشرة ملايين درهم ![٩] .

وبينما كان الشعب يعيش الأزمات الإقتصادية والضغط المعيشي كان معاوية ينفق الأموال على لذاته وشهواته ولترفيه أسرته الحاكمة ، ولشراء الضمائر وتدعيم عرشه . فقد بعث معاوية المغيرة إلى أهل الكوفة يغريهم بالأموال للإلتحاق بركب معاوية ، فأجابه بعضهم وبعث بهم إلى معاوية ، بعد أن أرشاهم بثلاثين ألف درهما ، فلما إنتهوا إلى معاوية بقيادة إبن المغيرة ويدعى موسى ، إلتفت معاوية إلى ابن المغيرة فسّاره قائلا : بكم إشترى أبوك من هؤلاء دينهم ؟

فقال بثلاثين ألف درهم ! .

ففضحك معاوية وقال : لقد هان عليهم دينهم[١٠].

ويقول الدكتور محمد مصطفى : وكان من عناصر سياسة الأمويين إستخدام المال سلاحاً للإرهاب ، وأداة للتقريب ، فحرموا منه فئة من الناس وأغدقوا أضعافاً مضاعفة لطائفة أخرى ثمناً لضمائرهم ، وضماناً لصمتهم .[١١]

رابعاً : احتكار الحكم والسلطة :

ليس من حق أي إنسان أن يتسلط على الناس أو يفرض نفسه كحاكم على الأمة ، إلا إذ رشحه اللهورسوله لذلك كالأئمة الطاهرين ، أو ينتخبه الشعب وفق مقاييس آلهية معينة ، كعصر ما بعد الأئمة .

إلا أن معاوية لم يكتف بإغتصاب قيادة الأمة ، دون ترشيح من الله ولا رضى من الشعب ، لم يكتف بذلك بل أراد أن يحتكر الحكم والسلطة لعقبه من بعده ، فيجعل الحكم بالوراثة يستلمه الابن بعد الأب ، ويبقى امتيازاً خاصاً للأسرة الأموية .

وبناء على ذلك قرر في أخريات حياته أن يفرض ابنه كخليفة للمسلمين من بعده ، واستعمل كل مكره وإرهابه في سبيل أخذ البيعة له من جموع الأمة .

وهكذا أصبح المجتمع الاسلامي في عصر الحكم الأموي ممزقاً متناحراً ، يسوده الارهاب ، ويفتقد الحرية ، وتنهب ثرواته وخيراته ، ويعاني من الفقر والحرمان ، وتصادر حقوقه السياسية .

الهوامش

(١) الحجرات ـ ١٣ .
(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٣ ص ٢٩٣ .
(٣) لمزيد من التفاصيل راجع شرح النهج لابن ابي الحديد ج ٨/٧ وتاريخ الطبري ج ٤ والدولة العباسية وسقوطها .
(٤) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ص ١١٣ .
(٥) عن تفاصيل الارهاب في عهد معاوية ، راجع شرح « نهج البلاغة » لابن ابي الحديد ، ومروج الذهب للمسعودي ج ٣ .
(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .
(٧) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ١٣٢ .

(٨) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص٢٤٧ .
(٩) محمد مهدي شمس الدين : ثورة الحسين ص ٧٩ .
(١٠) القرشي : حياة الامام الحسن ج ٢ ص ٤٢٢ .
(١١) القرشي : حياة الامام الحسن ج ٢ ص ١١٧ .

الموقف الثوري ..
والمواقف الخائنة ..

وهلك معاوية ابن أبي سفيان عام ٦٠هـ . . وقفز إبنه يزيد على كرسي الخلافة وأصبح أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ! . .

يزيد الذي يصفه المؤرخون بأنه لايهم بشيء إلا ركبه ويصفه الإمام الحسين (عليه السلام) بقوله : يزيد فاسق فاجر شارب الخمور قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق والفجور .

ويقول عنه في رسالة بعثها إلى أبيه معاوية : فخذ ليزيد فيما أخذ فيه من إستقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش ، والحمام السبق لاترابهن ، والقيان ذوات المعازف وضرب الملاهي تجده باصراً ![1] .

وقال فيه المنذر بن الزبير لما قدم المدينة : إن يزيد قد أجازني بمائة الف ، ولايمنعني ما صنع بي أن أخبركم خبره ، والله إنه ليشرب الخمر ، والله إنه ليسكر حتى يدع الصلاة .[2]

يزيد الذي كشفت فلتات لسانه عن مستوى إيمانه حيث يقول :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

ترى بأي حق يتسلط على خير أمة أخرجت للناس ؟ وبأي مؤهلات يتسنم عرش الحكم الإسلامي ؟

وما مصير الدين والأمة على يديه ؟

إن الذي يهمنا خلال هذه السطور هو أن نعرف كيف استقبلت الأمة حكم هذا المستهتر الذي سيواصل بها المسير على درب الشقاء والإنحراف وربما بشكل أكثر صراحة وتهورا . كيف استقبلت الأمة ذلك ؟

يمكننا أن نجزم أن استياء بالغاً ساد أكثر اوساط الأمة . ولكن ما نريد التعرف عليه هي المواقف التي اتخذها الناس . وليس مجرد الإستياء النفسي ، الذي لايغيّر واقعاً ولايقدم أثرا . . .

حينما نلقي نظرة فاحصة على تاريخ تلك الفترة الحرجة الخطيرة من تاريخ الأمة فإننا سنجد أن ردود الفعل لدى الأمة تمثلت في عدة مواقف :

اولاً / الموقف المصلحي :

هبّت الجماهير المخدوعة إلى المسجد ، لتبايع يزيد كرامتها ومستقبلها ، حتى ضاق المسجد بالمحتشدين . .

وهناك في صدر المسجد نصب منبران يعتلي أحدهما معاوية بينما يحتل الآخر ولده يزيد . .

وخطب معاوية في الناس ، ونجح في إظهار نفسه بمظهر المهتم بأمور الأمة ، وأنه يفكر في مستقبلها وما يمكن أن يحدث لها بعد موته وغيابه . . إنه يتخوف على الأمة الإنشقاق والإنقسام ويتخوف أن يلي أمر الأمة من لايصلح لذلك ، وضميره لا يسمح له مع وجود هذه الاحتمالات أن يغامر بمستقبل الأمة ومصيرها بتركها على مهب الرياح !. .

وتلافيا لكل تلك الأخطار المتوقعة فإن معاوية حماية منه لمستقبل المسلمين تبرع لا بل يفرض ترشيح إبنه يزيد خليفة وقائدا للأمة . . ويجب على الأمة أن تقبل ذلك !. .

وحري بأهل الشام أن يكونوا طليعة الأمة في التسليم للخليفة الجديد وفي تقديم مراسيم الولاء والطاعة !. .

وتسارع المخدوعون لمبايعة يزيد بخلافة المستقبل ، وبينما هم يتزاحمون حول منبره ، وإذا بصوت رفيع يدعوهم للهدوء والإنصات ، فجلس الناس وإصغت الآذان واشرأبّت الأعناق ، وإذا بشاعر يقف على رأس معاوية بينما إتجه بإشاراته إلى يزيد ويقول :

الاليت شعري ما يقول ابن عامر	ومروان أم ماذا يقول سعيد
بني خلفـاء الله مهلاً فـإنما	يبوئها الـرحمن حيث يريـد
اذا المنبر الغربي أخلاه ربه	فـإن أمـير المؤمنـين يـزيـد

وارتفع تصفيق حاد من الحاضرين بينما أسرّ معاوية إلى الشاعر قائلا : قد فرضنا لك عطاء وأنت في بلدك فان شئت أن تقيم بها أو عندنا فافعل فان عطاءك سيأتيك ونادى معاوية على أحد أصاحبه وقال له : وبشّره أني قد فرضت لأربعة الآف من قومه من خندف .[٣]

إن هذا الشاعر واسمه مسكين الدارمي ما هو إلا انموذج يمثل طبقة من الناس لايخلو منها مجتمع وزمان . وهي الطبقة التي ترى في الجور والظلم أفضل فرصة لتحقيق مطامعها ولكسب المصالح والإمتيازات ، فتلتف حول النظام الحاكم ، وتدعم وجوده وتصفق لتصرفاته ، وتلعب دوراً رئيسياً في تمكين سيطرة الحكم على الشعب . وبذلك تنال المناصب العالية والإمتيازات الواسعة في الدولة .

ولأن هذه الطبقة تبيع ضميرها للباطل فلا يهمها بعد ذلك إن كانت تدوس على القيم والمبادىء أو تتآمر على الأبرياء . فهي قد فقدت إنسانيتها وباعت ضميرها ، فما الذي يردعها عن أي جريمة ؟؟

فهذا سمرة بن جندب يسفك دماء ثمانية آلاف بريئاً من أهل البصرة وحينما يسأله زياد : هل تخاف أن تكون قد قتلت أحدا بريئاً ؟ فكان جوابه بكل وقاحة : لوقتلت إليهم مثلهم ما خشيت ![٤]

ومرة أخرى يقول سمرة عن نفسه : لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عذبني أبدا .

وحتى بعض أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) والذين يؤمل

منهم الدفاع عن الحق والعدل والتصدي للباطل والظلم ، إلا أن بعضهم مع الأسف سقطوا في هاوية المصالح والإجرام ، وصاروا يستغلون صحبتهم للنبي وإحترام الأمة لهم يستغلون ذلك في إختلاق الأحاديث في مدح الحكام الجائرين وينسبونها زوراً وافتراءً إلى رسول الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله) حتى قال أحدهم : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : إن الله ائتمن على وحيه ثلاثة أنا وجبرائيل ومعاوية ، وكاد أن يبعث معاوية نبياً من كثرة علمه وائتمانه على كلام ربي ، يغفر الله لمعاوية ذنوبه ![5]

وفي حديث آخر يقول : رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد ناول معاوية سهماً وقال له : خذ هذا السهم حتى تلقاني به في الجنة ![6] إلى كثير من الأحاديث الكاذبة المزيفة . .

على أكتاف هؤلاء وأمثالهم قام الحكم الأموي ويقوم كل حكم جائر ، فهم أعداء الجماهير لايعجبهم أن تسود العدالة وأن يسيطر الحق لأنهم حينذاك لايستطيعون تحقيق مصالحهم وأهوائهم ، ولذا فموقفهم مصلحي ظالم .

ثانياً / موقف الاستسلام والخنوع :

وطبقة أخرى لايسمح لها وجدانها الإنساني بالتعاون مع الظالمين ، ولا يقبل ضميرها بالجور والعدوان . ولكنها تكتفي بالموقف السلبي تجاه ما يحدث فهي لاتؤيد الظلم ولاتكلف نفسها مشقة مكافحته

وجهاده ، بل ترضى لنفسها الخنوع والسكوت والإستسلام للأمر الواقع مع تكرار وترديد : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وهذه تشكل طبقة عريضة في كل مجتمع في ظل غياب معارضة صادقة .

وتختلف المنطلقات والأسباب التي يبرر بها أبناء هذه الطبقة خنوعهم وإستسلامهم . ولكن أبرزها ثلاثة عوامل :

١- التضليل الديني :

تخطط السلطات الظالمة كثيراً لكي تنتزع من الشعب إرادته وحريته ، وتعمل بمثابرة على شل روح الثورة والرفض في أعماقه ، وتستخدم شتى الوسائل والأسلحة في سبيل ذلك . ومن أبرع الأساليب وأفتك الأسلحة هو التضليل الديني . والذي يعني تخدير الجماهير وقمع روح التحرر والثورة فيهم بإسم الدين ، ليكون أستسلامهم و خنوعهم بدافع مبدئي !. .

ولقد أبدع الحكم الأموي في إختراع العديد من الأساليب الملتوية في هذا المجال . . فاستقطب معاوية مجموعة من الصحابة ورجال الدين وأغراهم بالمال والمناصب وطلب إليهم القيام بهذه المهمة الخبيثة : تضليل الناس وتخديرهم دينياً .

فصار أولئك العملاء يتبارون في إختلاق الأحاديث الكاذبة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتي تحذر الناس من التمرد على

أوامر السلطة مهما كان إتجاهها لأن ذلك يعني إنشقاق الأمة وتفرقة المسلمين .

فهذا أحدهم يحدثنا قائلا : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها . قالوا فماذا تأمرنا يارسول الله ؟ قال (صلى الله عليه وآله) : أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم ![7]

وينبري صحابي آخر فيقول : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقـــول : من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات مات ميتة جاهلية ! . .[8]

ويأتي صحابي ثالث فيروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : ستكون بعدي هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جمع فاضربوه بالسيف كائناً ما كان .[9]

ويقول العجاج سألني أبو هريرة : ممن أنت ؟

- من العراق .

- يوشك أن يأتيك بقعان أهل الشام فيأخذوا صدقتك ، فإذا أتوك فتلقهم بها ، فاذا دخلوها فكن في أقاصيها ، وخل عنهم وعنها وإياك أن تسبهم ! فإنك إن سببتهم ذهب أجرك ! وأخذوا صدقتك . وإن صبرت جاءتك في ميزانك يوم القيامة .[10]

والأغرب من كل ذلك ما ينقله لنا التاريخ من أن يزيد بن عبدالملك لما ولي الخلافة قال : سيروا بسيرة عمر بن عبدالعزيز . فما هي إلا أيام حتى جاؤوا له بأربعين شيخا كلهم شهدوا له بأنه ما على الخلفاء من حساب ولاعقاب !![11]

وثمة عمل آخر قام به الحكم الأموي على صعيد التضليل الديني هو أشد خطورة من تزييف الأحاديث وهو تزييف وتحوير المفاهيم الإسلامية ، وتحويلها إلى أفكار تبريرية للواقع المنحرف والسلطة الظالمة ، وقد نشأت من جراء ذلك مدارس وفرق متعددة تقوم على أساس تلك المفاهيم المغلوطة . كفرقة المرجئة وتتلخص فكرتها في أن الإيمان عمل قلبي خالص لايتأثر بالسلوك الخارجي ، وتصرفات الجوارح . وشعار مدرستهم هو حديث يروونه عن النبي (صلى اللهعليه وآله) : لاتضر مع الإيمان معصية كما لاتنفع مع الكفر طاعة .

وهدف هذه المدرسة والتي كانت لمعاوية مساهمة فعالة في إرساء قواعدها هو إثبات إيمان بني أمية رغم كل تصرفاتهم وأعمالهم ، فلعلهم يسبقون الناس إلى الجنة ما دامت قلوبهم مؤمنة !..

وفرقة أخرى لعب الحكم دوراً بارزاً في تأييد فلسفتها ، وهي فرقة المجبرة التي ترى أن الإنسان في هذه الحياة لايملك حرية ولا إرادة . وإن ما يجري على مسرح الحياة ، من قيام حكم وسقوط آخر إنما هو من صنع الله وبإرادته وحده ! وهل يستطيع الإنسان مقاومة إرادة

خالقه ؟ وماذا تجدي الثورة إذاً ما دام الله يريد بقاء الحكم الأموي ؟

يقول الدكتور أحمد أمين (في ضحى الاسلام) : وبنو أمية كما يظهر كانوا يكرهون القول بحرية الإرادة ، لا دينياً فقط ولكن سياسياً كذلك لأن الجبر يخدم سياستهم فالنتيجة للجبر أن الله الذي يسير الأمور قد فرض على الناس بني أمية كما فرض كل شيء ، ودولتهم بقضاء الله وقدره فيجب الخضوع للقضاء والقدر .[١٢]

كل هذا التضليل والتحريف قد لعب دوراً مساعداً على تخدير نفوس الشعب وتثبيط عزائم المجتمع عن مقاومة الحكم الجائر .

٢ـ الفهم الخاطيء للدين . .

بعد أن صلى كل منهم نوافله وادّى أوراده ، تجمعوا حول قبر الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) في ساعة متأخرة من الليل وهم مجموعة من صحابة النبي (صلى اللهعليه وآله) وأعيان الأمة ، كان من بينهم الحسين ابن علي ، وعبدالله ابن عمر ، وعبدالرحمن ابن أبي بكر ، وعبدالله إبن الزبير . . وأخذوا يتجاذبون أطراف الحديث ، حول ماضي الأمة المجيد وواقعها التعيس . . وفيما هم ما ضون في ذلك وإذا بهم يسمعون صوت خطى متسارعة ويرون شبحاً قادماً تأملوه جيداً فعرفوه : إنه رسول والي المدينة الوليد بن عتبة . ولابد أنه يقصدهم فماذا عسى أن يكون قد حدث ؟ وتنبأ الحسين (عليه السلام) بهلاك معاوية وقيـــام يزيد مقامه وأن الرسول يدعوهم إلى

الوالي حتى يأخذ منهم البيعة . ووصل الرسول فكانت مهمته كما قال الحسين ، فصرفوه على أمل أن يأتوا خلفه .

ودار بينهم حديث خاطف حول الموقف الذي سيتخذونه إزاء بيعة يزيد . . فسارع عبدالله ابن عمر بإبداء الأدعية وقال وهو يغادر أصحابه : اما أنا فعلي بقراءة القرآن ولزوم المحراب !

إن عبدالله ابن عمر في موقفه هذا يعبر لنا عن خلفية قطاع كبير من الخانعين والمستسلمين للواقع الفاسد ، حيث يفهم الدين فهماً إنطوائيا ينغلق به الإنسان على ذاته وينعزل عن المشاركة في أحداث مجتمعه وواقع أمته .

فالدين في فهم هؤلاء الإنهزاميين هو أن تصلي وتصوم وتواظب على صلاة الجماعة وتتردد على الحج في كل سنة وتتقلب بين روائع الادعية اليومية والساعاتية ، ولاعليك بعد ذلك من فساد الحكم وإنتشار الظلم وإنحراف العلاقات العامة ! أوليس الله تعالى يقول : ﴿ **عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾[١٣]

هذا هو منطق التخلف والإنهزام يبرر به المتقاعسون خنوعهم وسكوتهم على الجريمة . ولكن هل صحيح أن الدين يرضى من الإنسان بهذا الموقف الأناني ؟

كلا ، وألف كلا . . فالإسلام دين رسالي لاتنسجم روحه مع هذا الفهم الإنعزالي الخاطىء ، ويؤكد في كثير من النصوص والتعاليم

واجب الفرد تجاه أمته ومجتمعه ويحمله مسؤولية ما يحدث في الساحة الإجتماعية .

أما الآية الكريمة فإن الإنهزاميين يسيئون فهمها ويحرفونها عن مواضعها وأهدافها ، فقد جاءت الآية في سياق مجموعة آيات تنعى على الإنسان تأثره بمواقف الاخرين ، متنازلاً عن إرادته وإستقلاليته مبرراً سلوكه بإتباعه للاخرين .

فتأتي الآية الكريمة لتلفته إلى إستقلاليته ومسؤوليته في إصلاح نفسه وإن أصر الأخرون على الإنحراف ، يقول تعالى : **﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءَنا أولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون * يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾**[١٤].

أرايت كيف يحورون آيات القرآن ويحرفون الكلم عن مواضعه ؟!

أضف إلى ذلك ان هذا الفهم يعتبر تجزيئا للدين . والإسلام لايقبل التجزئة والتبعيض أبداً ، بل يهدد بعذاب الدنيا والآخرة للمجزئين الذين جعلوا القرآن عضين ، يقول تعالى : **﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾**[١٥]

فالذي أوجب الصلاة اليس قد أوجب الجهاد وأليس الذي فرض الصوم قد فرض التضحية . والذي حرم الخمر أليس قد حرم السكوت على الظلم . وألزم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟؟

فبأي مبرر يصنف هؤلاء الدين إلى تكاليف مريحة واجبة وأخرى شاقة منسوخة ؟

إنها لمغالطة مفضوحة أرادوا بها التملص من المسؤولية الإجتماعية ، والتهرب من الإهتمام بقضايا الأمة المصيرية بينما يؤكد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) إن هذا التملص إنما يعني التخلي عن الإسلام كله يقول (صلى الله عليه وآله) « من أصبح لايهتم بأمور المسلمين فليس منهم »[١٦]

٣/ الخوف والجبن :

الخوف ذلك الشبح الرهيب الذي يخيم على النفوس الضعيفة الجبانة ، فيجعلها تلتمس المبررات للتقاعس والإنهزام ، ويضطرها للركوع أمام الطغاة الظالمين ، لتأمن بطشهم وسطوتهم ، فتراها خاضعة خانعة تستجدي الحياة والبقاء من ظالم مستبد ، وتنشد إلى الأرض إحتفاظاً بالمال والراحة . .

ولكن ما قيمة الحياة في ظل حكم توجهه الأهواء والشهوات ، ولا تحكمه أية مبادىء أو قيم ، بحيث تصبح حياتك ومصيرك على شراع أهواء الحاكم ونزواته .

إنها الحياة تعيسة تلك التي تكبت فيها حريتك ، وتسلب حقوقك ، وتداس مبادؤك وأنت تنظر وتتفرج ! إنها حياة الذل والعار والبرم . أما الشهادة دفاعا عن العزة والحقوق والحرية فهي الحياة السعيدة الخالدة . يقول الإمام الحسين (عليه السلام) : إني لاأرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما .(١٧)

ومن ماذا يخاف الإنسان وعلى ماذا يخاف ؟
يخاف من الموت ؟!
فهل خنوعه وسكوته سيحميه من الموت ؟
من يضمن لك الحياة حينما تعيش في ظل حكم بلا عدالة ولاقيم ، إن اشتهى الحاكم أو أحد جلاوزته يوما التفرج على لون دمك وحجم قلبك ؟! فمن ينقذك منه ؟

وهب إنك نجوت من يد السلطة فهل ستسلم من الحوادث التي تترقب الفرصة لإختطاف حياتك .

يقول أحد ثوار أفريقيا في مذكراته : طلبنا من شاب يافع الإنضمام إلى صفوف الثورة ، فاعتذر تخوفاً على حياته وإحتفاظاً بشبابه ، وماهي إلا بضعة أيام حتى بلغنا خبر وفاته في حادث إصطدام سيارة !

ومن وقت قريب إتفق مجموعة من العلماء في إحدى البلدان الإسلامية على بعث برقية إستنكار إلى حكومتهم على تصرفاتها تجاه الدين وشعائره ، ولكن أحد العلماء إعتذر عن التوقيع على البرقية تخوفاً

على مستقبله ، وتهيباً من محاسبة السلطة له ، وأصر على الإمتناع . ومع ذلك فلم يكد يمضي شهر واحد حتى إعتقلته السلطة وأذاقته شتى أنواع التعذيب والنكال !

فإذا كان الموت هو المصيرالطبيعي الذي ينتظرنا أليس من الأفضل أن نبادر إليه ونعانقه بعز وكرامة قبل أن يأتي إلينا ونحن في أوحال الذل والعار ؟

وسلام الله على إمام الأحرار علي ابن أبي طالب (عليه السلام) حيث يقول : إن أكرم الموت القتل والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون من ميتة على الفراش .[١٨]

تلك هي عوامل الخنوع ومنطلقات الإستسلام : التضليل الديني والفهم الخاطىء للدين والخوف والجبن .

ثالثاً / موقف الإيمان والثورة :

إن الإيمان الصحيح يرفض الخضوع للظلم ، والإستسلام للباطل ، والسكوت على الجور والإنحراف .

الإيمان يقول : كونوا للظالم خصماً وللمظلوم عونا .[١٩]

ويقول أيضا : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولاقول كان حقا على الله أن يدخله مدخله .[٢٠]

ويقول : الساكت عن الحق شيطان أخرس .

ويحث القرآن على الجهاد في سبيل الله ، والنضال من أجل الشعب المضطهد يقول تعالى : ﴿ **وما لكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين ؟** ﴾[٢١]

ويقول تعالى : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن و من أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** ﴾[٢٢]

ولكن القلة من الأمة هي التي تنطلق من الإيمان في مواقفها وتتحلى بالبطولة وتصمم على التضحية . وحتى هذه القلة تحتاج إلى طليعة تنير لها طريق النضال وتثير في نفوسها دوافع الجهاد والثورة . ومن أولى من الإمام الحسين بالتزام موقف الإيمان والجهاد ، وبشق طريق التضحية والنضال يقول (عليه السلام) وأنا أحق من غيري ؟[٢٣]

الهوامش

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ص ١٨٦ .

(٢) القرشي : حياة الامام الحسين ج ٢ ص ٤١٩ .

(٣) الاصفهاني : الاغاني ج ٢٠ ص٢٢٤ ـ ٢٢٨ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص١٧٦ .

(٥) ابن حجر : الصواعق المحرقة ج ٢ ص ٤٠ .

(٦) شمس الدين : ثورة الحسين ص ١١٢ .
(٧) البخاري : صحيح البخاري ج ٨ ص ٨٧ .
(٨) ابن عبدالوهاب : جواب اهل السنة ص ٧٠ .
(٩) مسلم : صحيح مسلم ج ٦ ص ٢٢ .
(١٠) شمس الدين : ثورة الحسين ص ١١٣ .
(١١) ابن كثير : ص ١٣٢ ـ وعن الأحاديث السابقة راجع شرح ابن أبي الحديد ـ عيون الأخبار لابن قتيبة ـ صحيح البخاري .
(١٢) احمد امين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ٨١ .
(١٣) المائدة ـ ١٠٥ .
(١٤) المائدة ـ ١٠٤ ـ ١٠٥ .
(١٥) البقرة ـ ٨٥ .
(١٦) الري شهري : ميزان الحكمة ج ٤ ص ٥٣٠ .
(١٧) القرشي : حياة الامام الحسين ص ٩٨ .
(١٨) نهج البلاغة خطبة رقم ١٢٣ .
(١٩) المجلسي : بحار الانوار ج ١٠٠ ص٩٠ .
(٢٠) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص٣٠٤ .
(٢١) سورة النساء ـ ٧٥ .
(٢٢) سورة التوبة ـ ١١١ .
(٢٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص٣٠٤ .

منطلقات الثورة

الإنسان بطبيعته يخلد إلى الراحة ، ويحرص على الحياة والسلامة ، ويحاول تجنيب نفسه أقل أذى أو ضرر بدافع حبه لذاته . .

والثورة تعني أن يقتلع الإنسان من نفسه كل ذلك ، وأن يقاوم جاذبية الحياة والراحة التي تشده إلى أسفل . . وهذا شيء صعب لا يستطيعه إلا من تفاعل الإيمان مع قلبه . وملأ الإخلاص نفسه ، وسمى بشعوره إلى آفاق الحرية والكرامة .

وقد أكد القرآن الكريم صعوبة هذه العملية : مقاومة حب الراحة والحرص على الحياة بقوله : ﴿ **يأأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم إنفروا في سبيل الله إثّاقلتم إلى الأرض ؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل** ﴾ .[1]

ولذلك فالثائر يجب أن يبدأ ثورته من داخل نفسه وفي أعماق وجدانه وشعوره . وإلا فمن يعجز عن إبدال حب الحياة في نفسه بحب التضحية ، والميل إلى الراحة بالشوق إلى الجهاد ، والحرص على الدنيا بالبحث عن الشهادة . . هذا الإنسان لايستطيع أن يغير المجتمع

أو يثور على الواقع .

وهذا ما وفره الحسين في نفسه وفي نفوس أصحابه الثائرين إنه في البداية فجر الصراع داخل نفوسهم ، وأعلن انطلاق الثورة من أعماق قلوبهم وإحساسهم ، ولم يمنح وسام الثورة إلا لمن نجح في هذه المعركة وانتصر على نفسه ، أما الذين أنهزموا أمام أنفسهم وأهوائهم فقد تفرقوا عنه بعد أن قطعوا معه شوطاً من الطريق !..

في أول إعلان جماهيري أدلى به الحسين عن ثورته في جموع الحجيج وضع شرطا أساسياً للالتحاق بثورته وهو الإستعداد للتضحية وتوطين النفس على الشهادة . حيث قال (عليه السلام) « ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا . . »[٢]

وأثناء المسير كان يكرر الإمتحان حتى يبلور نفوس أصحابه ويحافظ على حرارة الإخلاص لديهم وقوة الإندفاع في قلوبهم ، ولكي يصرف عن مسيرته المقدسة ضعفاء النفوس ، وعشاق الدنيا . فحينما أنتهى إلى منطقة (زبالة) قام خطيباً في أصحابه : « فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه ، ثم نادى بأعلى صوته : أيها الناس إنما جمعتكم على أن العراق في قبضتي ، وقد جاءني خبر صحيح أن مسلم بن عقيل وهاني بن عروة قتلا ، وقد خذلتنا شيعتنا ! فمن كان منكم يصبر على ضرب السيوف وطعن الرماح وإلا فلينصرف من موضعه هذا ، فليس عليه من ذمامي شيء ، فسكتوا جميعا وجعلوا

يتفرقون يميناً وشمالاً حتى لم يبق عنده إلا أهل بيته ومواليه وخلص أصحابه . »[٣]

واستمر الحسين (عليه السلام) يتعاهد في أصحابه روح التضحية والجهاد في سبيل الله ، حتى قبل المعركة بحوالي عشر ساعات . . حيث جمعهم ليلة العاشر من المحرم ، ليتأكد من وفائهم وإخلاصهم ، وليضمن عدم تسرب شيء من الخوف والإنهزام إلى نفوسهم . أقبل عليهم وخطبهم بصراحته الثورية وصدقه المعهود ، وقال لهم في خطبته : « أثني على الله أحسن الثناء وأحمده على الشدة والرخاء معاشر المؤمنين : لست أعلم أصحابا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر و أوفي من أهل بيتي ، فجزاكم الله عني أحسن الجزاء . وإني أظن أن آخر أيامي مع هؤلاء القوم الظالمين غدا . وقد أبحتكم فما في رقابكم مني ذمام وهذا الليل لقد غشيكم فاتخذوه جملاً ، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ، وتفرقوا في البيداء يميناً وشمالاً فإن القوم يطلبونني دونكم ، ولو أصابوني لذهلوا عمن سواي ».[٤]

وما كاد الإمام ينهي كلامه حتى ضجوا بأجمعهم برفض الفرار والإصرار على الصمود والجهاد معه ، وقالوا : والله لانفارقك وأنفسنا دون نفسك نفديك بأرواحنا من جميع الأسواء ، فاذا نحن قتلنا فقد قضينا ما علينا .

إن الثائر يجب أن يوفر في نفسه هذه الروح الصامدة وهذه الشجاعة الباسلة . ولكن كيف يستطيع الإنسان أن ينجح في الثورة

على نفسه ؟ وأن يكنس من ذاته حب الحياة والراحة ؟ وينمي في أعماقه روح التضحية والصمود ؟

إن ذلك لايحدث إلا إذا كانت للإنسان منطلقات ثورية واقعية ، تتفاعل مع نفسه ، وتتعمق في وجدانه ، وتتأصل في ضميره بحيث تشكل ضغطاً كبيراً في صميم الإنسان تفوق ضغط حب الحياة والراحة . .حينئذ فقط ينتصر الإنسان على نفسه ويبدأ بشق طريق الثورة والتغيير .

فلكل ثائر منطلقات تدفعه إلى الثورة وبمقدار عمق تلك المنطلقات وواقعيتها ، وعلى مدى تفاعلها في نفسه وتشبعه بها يتوقف مقدار إندفاعه وصموده وبطولته .

فاذا لم يكن المنطلق واقعيا أو لم يتجذر في ذات الفرد فإنه سيتراجع وسوف لا يواصل مشوار الثورة ومسيرة التغيير . .

وكم يحدثنا التاريخ عن نماذج من هؤلاء الثوار المزيفين ، كمالك بن هبيرة السكوني والذي تحرك للثورة على معاوية بعد قتل حجر وأصحابه ، والتف حوله جماعة من الناس وأعلن تمرده . . ولكنه تراجع بعد ذلك حينما بعث له معاوية مائة ألف درهم فأخذها وطابت نفسه ! .(٥)

وتاريخنا المعاصر كم شهد من أمثال هؤلاء المتراجعين الذي يملأون الأسماع بهتافاتهم وشعاراتهم الثورية ولكنهم حينما يوضعون على محك

الإغراء يتبرأون من كل أهدافهم ومبادئهم !.

والآن ما هي المنطلقات التي انطلق منها الحسين وأصحابه في ثورتهم الرائدة ، والتي يجب أن ينطلق منها كل مؤمن في حياته وتحركه ؟

اولاً / الضمير والوجدان الإنساني :

وجدان الإنسان يغضب حين يشاهد مظاهر الظلم والحرمان ، وضميره يثور حين يرى حياة الجور والإضطهاد . . وكل إنسان يحس بوخز الضمير وغضب الوجدان إذا ما رأى مظلوماً أو مستضعفاً . وإذا لم تقف الأنانية والمصلحية حاجزاً بينه وبين ضميره ، فإنه سيثور طبيعياً وسيجد نفسه مضطراً للوقوف إلى جانب المظلوم المضطهد ضد الظالم المعتدي .

إن الأرضية الخصبة التي تنبت فيها الثورة هي أرضية الظلم والحرمان ، حيث يحرك الضمائر ويستثير الوجدان ، وأكثرالثورات الإنسانية إنما تنطلق من هذا المنطلق : منطلق الدفاع عن المحرومين والمستضعفين . .

ولنصغ إلى أبي الفرج الأصفهاني وهو يحدثنا عن السبب المباشر لإنطلاق ثورة أحد العلويين في عصر المأمون العباسي ، يقول :

كان محمد ابن إبراهيم الحسيني العلوي ، يمشي في بعض طرق الكوفة ، إذ نظر إلى عجوز ، تتبع أحمال الرطب ، فتلقط مايسقط

منها ، فتجمعه في كساء عليها رث فسألها عما تصنع بذلك ، فقالت إني إمراة لا رجل لي يقوم بمؤنتي ، ولي بنات لايعدن على أنفسهن بشيء ، فأنا أتتبع هذا من الطريق وأتقوته أنا وولدي !.

فبكى محمد بكاء شديداً وقال : أنت واشباهك تخرجوني غداً حتى يسفك دمي .[٦]

وفجّر ثورته العظيمة والتي استمرت لفترة طويلة تعاقب عليها بعد إستشهاده العديد من القادة العلويين ، وقد امتدت الثورة إلى العراق والشام والجزيرة واليمن .

هكذا ينتفض الوجدان رافضاً لواقع الظلم والإنحراف .

والحسين بن علي بوجدانه اليقظ وضميره الحي كيف يسمح لنفسه بالسكوت والتفرج على شعب بكامله يعيش الإحتضار والشقاء على يد سلطة ظالمة ، فرضت سيطرتها عليه بدون حق ، وأخذت تمتص دمه وتصادر حقوقه وتسلب كرامته وتعبث بمقدراته ؟؟

لا . . لم يسمح له وجدانه . . ولم يرض بذاك ضميره ، بل صمم على الثورة والجهاد دفاعاً عن حق الأمة في الحياة والحرية ، وإنتقاماً من الظالمين ، وليوقف الطغاة عند حدهم ، وليثير في الناس ضمائرهم ووجدانهم ، فيقتدون به في رفض الجور والإنحراف ، وإعلان الثورة والإنتفاض .

وقد ظهر هذا المنطلق واضحاً في خطابات الحسين وكلماته عبر

مسيرة الثورة :- يقول (عليه السلام) في خطابه في اليوم العاشر من المحرم وأمام حشود الجيش الإموي :

« تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً ، حين إستصرختمونا والهين ، فأصرخناكم موجفين ، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم وحششتم علينا ناراً أوقدناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم إلبا على أوليائكم ، ويداً عليهم لأعدائكم ، بغير عدل أفشوه فيكم ، ولاأمل أصبح لكم فيهم ، إلا الحرام من الدنيا أنالوكم ، وخسيس عيش طمعتم فيه . . »[٧]

لاحظوا كيف يؤكد الحسين إنه لا يقاتل عدواً شخصياً له وإنما يقاتل عدو الجماهير والشعب « أوقدناها على عدونا وعدوكم » . وينبه الجنود المقاتلين بأنه إنما ثار إنتقاماً لهم حينما رآهم بعيشون حياة الظلم والإستعباد والذي سيستمر بهم إن لم يقاوموه « بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم . . » وعند إلتقائه (عليه السلام) بطليعة الجيش الأموي والذي كان بقيادة الحر الرياحي أكد الحسين هذا المنطلق ، كباعث ومبرر لثورته يقول (عليه السلام) : « ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان . وتركوا طاعة الرحمن ، واظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء . . » .[٨]

فلأن بني أمية استأثروا بالفيء وخيرات الشعب فقد بقي الشعب يعاني الحرمان والفقر ، وذلك يكفي لكي يثور الحسين . .

ثانياً / المسؤولية الدينية :

الدين الذي جاء من أجل إصلاح المجتمع البشري وسعادته . . جاء ليخرج الناس من ظلمات الجور إلى نور العدل ، ومن شقاء الباطل إلى سعادة الحق ، ومن إستعباد الطغاة إلى التحرر لله . . هذا الدين هل يرضى لأمته ومجتمعه والمؤمنين به أن يتنازلوا عن كل ذلك وأن يتشبثوا بعبادته وطقوسه فقط ؟؟

كلا فالعبادات ما شرعها الإسلام إلا لتكون وسيلة لتلك الأهداف ، وضماناً لحمايتها وإستمرارها ، فإذا ما فقدت هذا المفعول وأصبحت بديلاً للأهداف الأساسية فلا قيمة لها حينئذ في نظر الإسلام .

إذ ما قيمة الصلاة والصيام وأنت تخضع لسلطة جائرة ؟ إنها صلاة وصيام مزيف لاتدفع عن المجتمع عذاب الله ، كما يروي أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) قائلاً :

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : « قال الله تعالى : لأعذبن كل رعية دانت بطاعة إمام ليس مني وإن كانت الرعية في نفسها برة » .[٩]

وكيف يسمح لك الدين بأن تتفرج على الجرائم وهي تنتشر ، وعلى أحكام الله وهي تخالف ، وعلى القيم وهي تداس ، تشاهد كل ذلك فلا تغضب ولاتثور ، إنك إذاً شريك أساسي في كل ما يحدث ،

وسوف لاتشفع لك صلاتك ولاتقيك أدعيتك عقاب الله في الدنيا والآخرة .

ففي الحديث : أوحى الله إلى النبي شعيب : إني معذب من قومك مائة ألف : أربعين الفاً من شرارهم وستين الفاً من خيارهم !

فقال شعيب : يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار ؟

فأوحى الله إليه : داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي .[١٠]

فالدين يوجب رفض الظلم ومكافحة الجور وعدم الاستسلام للإضطهاد . . وكلما كان الانسان أكثر وعياً بالدين وفهماً لأهدافه ، كان أكثر إندفاعاً وأشد ثورية من أجل الدين ، وأقوى غيرة على قيمه ومبادئه .

وهذا هو بالضبط ما جعل الحسين يتحرك ويفجر ثورته بكل عنف وإصرار منطلقاً من وعيه للمسؤولية الدينية . ومن تفهمه لروح الإسلام وأهدافه .

يقول (عليه السلام) :ـ لقد قال جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) « من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغير عليه بفعل ولاقول كان حقا على الله أن يدخله مدخله » .[١١]

وقال (عليه السلام) :ـ ألا ترون إلى الحق لايعمل به وإلى الباطل

لايتناهى عنه فليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً .[١٢]

ثالثاً / العزة والكرامة :

أثمن ما يملك الإنسان في هذه الحياة هي كرامته وحريته ، فهي الفارق المميز بين الإنسان وبين الحيوان ، فالإنسان خلقه الله حراً كما يقول الأمام علي (عليه السلام) « و لاتكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً » [١٣] .

ومنح اللهالإنسان حق الكرامة فقال تعالى : ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر . .** ﴾ .[١٤]

ويأتي الإيمان ليقوي عند الإنسان شعوره بالعزة وتمسكه بالكرامة . فيقول تعالى : ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾[١٥].

وجاء في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) : إن الله تبارك وتعالى فوّض إلى المؤمن كل شيء إلا إذلاله نفسه .[١٦]

وما قيمة الحياة بلا حرية ولاكرامة إنها حياة الذل والعار . . إنها الموت بعينه . ولذا فمن يعرف قيمة العزة ويدرك ضرورة الحرية لايمكن أن يتنازل عنها ولا أن يعيش بدونها ، بل يثور ويرفض حياة الذل والهوان . وما أروع قول الشاعر :

فكن رجلا إن تنض أثواب عيشه   رثاثاً فثوب الفخر منك جديد

وإياك أن تشري الحياة بذلة هي الموت والموت المريح وجود
وغير فقيد من يموت بعزة وكل فتى بالذل عاش فقيد[17]

ولقد وجد الحسين نفسه وأمته على مفترق الطريق إما الحياة الذليلة الرخيصة في ظل الحكم الأموي المستبد ، وإما الجهاد و التضحية والقتل في سبيل الله بالعز والشرف والكرامة .

وكان لابد أن يختار الإمام الطريق الثاني ، فيعلن رفض الذل والإستسلام ،ويبدأ مسيرة الأمة نحو الكرامة والحرية ، وإن كلفه حياته .. فرفع شعار الحرية والكرامة لتسير خلفه الطلائع المؤمنه في كل جيل . وهتف بصوته الثوري الكريم : « والله لاأعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، ولاأقر لكم إقرار العبيد وهل هو إلا الموت والقدوم على رب كريم » ! .[18]

وقال (عليه السلام) : ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين إثنتين إما السلة أو الذلة ، وهيهات منا الذلة يأبى اللهلنا ذلك ورسوله والمؤمنون وجدود طابت وحجور طهرت ، ونفوس أبية وأنوف حمية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام » .[19]

الهوامش

---

(١) سورة التوبة ـ ٣٨ .

(٢) البحراني : العوالم ج ١٧ ص ٢١٧ .

(٣) البحراني : العوالم ج ١٧ ص ٢٢٥ .
(٤) البحراني : العوالم ج ١٧ ص ١٦٥ .
(٥) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٨٧ .
(٦) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٢٦ .
(٧) المجلسي : بحار الانوار ج ٤٥ ص ٨ .
(٨) البحراني : العوالم ج ١٧ ص ٢٣٣ .
(٩) المجلسي : بحار الانوار ج ٢٦ ص ٣٤٩ .
(١٠) المجلسي : بحار الانوار ج ١٢ ص ٣٨٦ .
(١١) البحراني : العوالم ج ١٧ ص ٢٣٢ .
(١٢) البحراني : العوالم ج ١٧ ص ٢٣٢ .
(١٣) الري شهري : ميزان الحكمة ج ٢ ص ٣٥١ .
(١٤) سورة الاسراء ـ ٧٠ .
(١٥) سورة المنافقون ـ ٨ .
(١٦) الري شهري : ميزان الحكمة ج ٣٠ ص ٤٤١ .
(١٧) من قصيدة للسيد سليمان الحلي / الدر النضيد ص ١٣٥ .
(١٨) مثير الاحزان ص ٢٦ .
(١٩) البحراني : العوالم ج ١٧ ص ٢٥٣ .

اهداف الثورة

تلك كانت منطلقات الإمام الحسين في ثورته ، ولكن ماذا كان يهدف من وراء الثورة ؟

إن الهدف الأساسي للإمام الحسين (عليه السلام) هو إعادة بناء وصياغة المجتمع الإسلامي وفق مبادىء الدين القويم ، بعد أن عاشت الأمة فترة الإنحراف العميق والشامل في ظل الحكم الأموى . .

كان يهدف تغيير واقع المجتمع ، ونسف الفساد والإنحراف الذي صار يؤطر الحياة ويهيمن على أجوائها . .

فلم يكن الفساد محصوراً في جانب دون آخر بل أصبح يعشعش في جميع الحقول : فالخليفة : « شارب الخمور مرتكب الفجور » يفقد أدنى مؤهلات الحكم والقيادة .

والأجهزة الحاكمة : هم جماعة النفاق والمصالح الذين « لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد » .

والشعب يعاني من ضغط إقتصادي وحرمان عام لأن الأسرة الحاكمة وأعوانها قد « استأثروا بالفيء » .

ومبادىء الحق معطلة بينما الباطل يسود الحياة « الحق لايعمل به والباطل لايتناهى عنه » .

والناس إستعبدتهم المطامع أما الدين فقد تقلص من نفوسهم ، وإضمحل نفوذه في قلوبهم وما عاد يملك إلا أطراف الألسن : « الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون » .

وإزاء هذا الوضع المؤلم فلا بد وأن يكون التغيير عميقاً وشاملاً ، وأن تكون الثورة عنيفة وقوية .

وقد خطط الحسين لهدفه أن يتم عبر النقاط التالية :

١ـ تحطيم السلطة الجائرة :

إن منبع الآم الأمة وشقائها هو السلطة الظالمة ، وكل إصلاح جزئي في ظلها محدود التأثير ولاغي المفعول ، وأهم عمل تغييري هو كسر هذا الطوق عن أعناق الشعب . وهذا ما يراه الإمام الحسين (عليه السلام) فقد كتب إلى معاوية ذات مرة « وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها » .[1]

ولذلك اتجه الحسين بثورته نحو العروش الحاكمة المرتفعة على

أشلاء الشعب ، والمغتصبة لقيادته . ليتسنى له بعد تحطيمها بناء جهاز إسلامي يحكم الناس بالعدل والحرية ، ويعيد للمجتمع أمنه وإستقراره .

وقد رافقت الثورة حملة توعية مركزة قادها الإمام الحسين ، لتعرية الحكام وكشفهم أمام الأمة ، ففي مجلس والي المدينة قال الإمام : إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم ويزيد فاسق فاجر شارب الخمر قاتل النفس المحترمة ومثلي لايبايع مثله .[٢]

ومرة أخرى وأمام مقدمة الجيش الأموي قال الحسين وبكل صراحة : ألا وإن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد وعطلو الحدود ، واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله ، وحرموا حلاله .[٣]

وفي اليوم العاشر من المحرم قال في خطبته : فسحقاً لكم يا عبيد الأمة ، وشذاذ الأحزاب ، ونبذة الكتاب ، ونفثة الشيطان ، وعصبة الآثام ، ومحرفي الكتاب ، ومطفيء السنن ، وقتلة أولاد الأنبياء ، ومبيدي عترة الأصفياء ، وملحقي العهار بالنسب ، ومؤذي المؤمنين ، وصراخ أئمة المستهزئين ، الذين جعلوا القرآن عضين ، ولبئس ما قدمت لهم أنفسهم وفي العذاب هم خالدون .

هكذا نجد الحسين يعمل على إسقاط الحكم المنحرف ، وإذا لم

تسعف الظروف ثورة الإمام كي تحقق هذا الهدف في حياة الإمام الحسين ، فقد تحقق بقتله وشهادته ، حيث أثار الرأى العام وألب النفوس ، وبث الثورة في أرجاء الأمة ، فتوالت من بعد مقتل الحسين الثورات الشعبية ، ليس لاسقاط الحكم الأموي فقط وإنما لتحطيم كل حكم ينحرف عن الشريعة ويتحدى العدالة .

٢ـ إصلاح الأمة :

تلك الأمة المجاهدة التي حطمت تيجان كسرى وعروش قيصر ، والتي حملت رسالة العدل والحرية إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وأنقذت الشعوب المستضعفة من حكامها الطغاة . . هذه الأمة كيف تحطمت روحها الرسالية وكيف تنازلت عن أهدافها المقدسة ؟ .

وكيف خضعت لحكم دكتاتوري منحرف ؟ .

لم يحدث كل ذلك لو لم تتغير نفسيتها ولو لم تفقد مقومات التقدم والعلو ، إن الله تعالى يقول : **﴿ إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾**[١] .

فماذا تغير في نفسية الأمة ؟ .

لقد استبدلت روح النضال والتضحية بحب الراحة والمصالح . . .

ولقد تحولت طموحاتها الرسالية إلى أنانية وإنغلاق . .

ولقد تغيرت علاقاتها المبدئية إلى إنتماءات قبلية وعشائرية . .

وثار الحسين على كل هذا التحول الرجعي الذي حدث في حياة الأمة ، وأراد إصلاحها بإيقاظ روح التضحية والنضال ، في أعماقها ، وبإعادة الثقة بنفسها ، وبتذكيرها بالمبادىء الرسالية والأهداف المقدسة التي كانت تسود حياتها . . .

هذا هو هدفه السامي الذي أعلنه في أول بيان عن ثورته حيث قال (عليه السلام) : إني لم أخرج أشراً ولابطراً ولامفسداً ولاظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي . .[*]

٣ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

وأي معروف أهم من العدالة والحرية والجهاد في سبيل الله ؟؟

وأي منكر أبشع من الظلم والجور والإنحراف

ولهذا كرس الحسين ثورته من أجل هذا الهدف المقدس ، من أجل أن يأمر الناس بالمطالبة بحقوقهم وكرامتهم ، ومن أجل أن ينهاهم عن الخنوع والإنهزام والإستسلام ، يقول (عليه السلام) وهو يحدد أهداف ثورته : أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر .

وإستمر يوجه الناس نحو المعروف ويحذرهم عن المنكر بلسانه وسلوكه ، فلما إستشهد واصل دمه الزكي هذا الدور ، فغير مجرى حياة الأمة ، وحفر منعطفات التاريخ .

الهوامش

(١) الحسني : الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ ص ٣٤٩ .

(٢) شمس الدين : ثورة الحسين ص ١٧٢ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٠٤ .

(٤) سورة الرعد ـ ١١ .

(٥) البحراني : العوالم ج ١٧ ص ١٧٩ .

مسؤولية الثورة

تقاذف المسؤولية والتملص منها هو مؤشر الإنهيار ونذير الشقاء لكل أمة . .

فالأمة . . أية أمة حينما يأخذ أبناؤها دور المتفرج على الأحداث والمستسلم لنتائجها . . ويلقي كل فرد وكل طبقة مسسؤولية ما يحدث على الآخرين . . هذه الأمة لاينتظر لها إلا التخلف والدمار .

أما الأمة التي يشعر كل فرد فيها بدوره في المجتمع ، ومسؤوليته عما يحدث ، ويقوم بأعباء المسؤولية ، ويمارس حقه في صناعة الأحداث . . هذه الأمة هي أمة التقدم والنجاح والرقي .

والإسلام حينما أراد لأمته السعادة والتقدم ، فقد وضع الضمان لذلك بزرع روح المسؤولية في جميع أفراد الأمة ، فليس السياسيون أو العلماء أو الرجال أو الشيوخ فقط يتحملون المسؤولية . . وإنما « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » [1] .

وأكثر من هذا فإن الرسول (صلى الله عليه وآله) لايعترف بإسلامية المتفرج على وضع مجتمعه بدون مشاركة ولا إهتمام

يقول (صلى الله عليه وآله) : « من أصبح لايهتم بامور المسلمين فليس منهم » .[٢]

ويؤكد القرآن الكريم مسؤولية المجتمع كل المجتمع ، بشقيه الرجال والنساء ، في تطبيق الحق ومكافحة الإنحراف ، يقول تعالى : **﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾** .[٣]

ومن المؤسف جداً أن يتهرب المجتمع من مسؤوليته الخطيرة ، ويقف مكتوف اليدين ، ليشاهد ما يجري على الساحة بسلبية وبرود ، وينتظر النتائج بكل تواكل وجمود ! .

وهذا هو بالضبط ما حدث للأمة في عصر الحكم الأموي فقد رفع الناس شعار : ما لنا والدخول بين السلاطين ، والذي يعني حصر نطاق الصراع بين السياسيين فقط وإستعداد الأمة للسير خلف من تكون له الغلبة ! .

فكانت الحاجة ماسة لقيام طليعة مؤمنة توعي الأمة بمسؤوليتها الرسالية ، ولابد أن يكون ذلك من خلال الممارسة النضالية وعبر التحمل الفعلي لمسؤولية الثورة .

وهذا ما حققته ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) حيث التفت حولها طليعة الأمة الواعية ـ رغم قلتها ـ و ضربت أروع مثل في الثبات والصمود وتحمل السسسؤولية ، وقد تشكلت تلك الطليعه من مختلف

طبقات المجتمع وأصنافه ففيها : المرأة تشارك الرجل مسؤولية الثورة ، والعبيد ينافسون الأحرار في شرف التضحية ، والشباب يسبقون الكبار إلى معركة الحق ، وحتى الأطفال ساهموا بدمائهم البريئة في كتابة بعض فصول الثورة . .

ولنستعرض الآن بإيجاز خاطف بعض النماذج الثورية من مختلف الطبقات :

١ـ المرأة الواعية

المرأة هي الشق الثاني للمجتمع ، ويمكنها أن تكون مصدراً للسعادة والتقدم ، كما إن بامكانها أن تصبح منبعاً للتخلف والفساد . . فأجيال المجتمع كلها تتخرج من أحضانها وتمر عبر صدرها وذراعيها ، وتظل الأجيال على إرتباط وثيق مؤثر بها كأم وكزوجة وكبنت . .

لذا فهي منطقة خطيرة جداً في المجتمع فإذا ما توجه إهتمامها نحو الميوعة والتبرج والخلاعة ، والركض خلف آخر موديل من الملابس وأجمل موضة من المكياج ، وإستعراض مفاتنها ومواقع الإغراء في جسمها . . فإنها حينئذ تحفر للمجتمع هوة سقوطه وإنحداره . .

أما إذا كانت واعية ملتزمة تعرف دورها في المجتمع ، وتدرك مسؤوليتها ، وتهتم بما يجري على أمتها ، فإنها حينئذ ستكون مصنعاً

للبطولة ومدرسة للإقدام والإيمان ، وهي بالتالي منبع السعادة والخير . .

والمرأة في الإسلام تقف إلى جنب الرجل في تحمل مسؤولية الإصلاح ، وفي مكافحة الظلم والإنحراف . . وهذا ما جسدته المرأة الواعية على أرض الثورة الإسلامية ، كربلاء : فإن التاريخ يسجل لها بإكبار مواقف الصمود والكفاح والتضحية . ولنتأمل موقفا واحدا لإحدى نساء الثورة الواعيات :

لم يكن يتوقع ولا دار له في خيال ، أن أمه الحنون وهي لاتمتلك ولداً غيره ، ولاتعدل به أي شيء في الحياة ، لم يكن يتوقع أنها في يوم من الأيام سوف تدفع به إلى القتل ، أو تسمح به للموت ! .

ولكن ما لم يكن يتوقعه أو يتصوره حدث في يوم عاشوراء فقد جاءته أمه وقالت له بكل تصميم وإطمئنان : ياوهب قم وانصر الحسين ! .

فتعجب وهب أو بالأحرى أُعجب بهذه الروح العظيمة التي أصبحت أمه تتحلى بها : روح البطولة والتضحية في سبيل الله .

وأجابها : لأنعمنك عينا . ونهض فوراً يستعد لدخول المعركة ، وبعد أن تقلد سيفه ولبس لأمة حربه ، أقبل على الإمام الحسين (عليه السلام) يستأذنه الخروج إلى المعركة ، ثم انحدر نحو الميدان وخاض عمليات القتال ، واستطاع أن يصرع بعض أبطال العدو بينما أصابته

جراح مؤلمة واستطاع الإنفلات من الأعداء وعاد إلى الخيمة ، ووقف أمام أمه وسيفه يقطر دما وعليه آثار جراحات الرماح ، وبادر أمه قائلا : أرضيت يا اماه ؟

فأجابته : لا . . لا أرضى عنك حتى تقتل بين يدي ابن رسول الله . .

فكانت كلمات أمه بمثابة شحنة روحية جديدة تدفعه أكثر للجهاد في سبيل الله ، وصمم على الرجوع إلى المعركة ، إلا أن زوجته استولت عليها العاطفة ، وتعلقت به تثنيه عن العودة إلى الميدان حيث الموت . . القتل : وتدخلت أمه تحمسه على القتال وترغبه في الشهادة ، وتهاجم عاطفية زوجته وجبن نفسيتها .

وانحدر للمعركة يحمل على القوم بسيفه وهو ينشد :

إني زعيم لك أم وهب .

بالطعن فيهم تارة والضرب .

فعل غلام مؤمن بالرب .

حتى يذيق القوم مر الحرب .

إني أمرؤ ذو مرة وعب .

ولست بالخوار عند النكب .

حسبي بنفسي من عليهم حسبي .

إذا انتميت في كرام العرب . .

وخاض معركة عنيفة ، أصيب فيها بجراحات بالغة ، ولكنه رغم ذلك بقي صامدا يحمل على القوم يمينا وشمالا ، وإذا به يسمع صوت زوجته ، وهي تحمل عموداً من أعمدة الخيمة وتنوي خوض المعركة وهي تقول :

فداك نفسي ياوهب . . قاتل دون الطيبين قاتل دون الصالحين . .

إقترب منها مناديا : ماذا حل بك ألم تنهيني قبل قليل عن القتال : وتحذريني الموت ؟ .

فقالت بعيون دامعة : لاتلمني ياوهب . . إن واعية الحسين قطعت نياط قلبي وهدت أركاني ، ورغبت معها عن الحياة . . لقد سمعته يقول :

وا غربتاه . . وا وحدتاه . . وا قلة ناصراه . . أما من مجير يجيرنا . . ؟ أما من ذاب يذب عنا . . ؟

فأجبت استغاثته وخرجت لإقاتل معك ، ولنذهب سويا إلى الجنة ! .

حاول أن يرجعها إلى الخيمة فرفضت ، فاستعان بالحسين ، فأقنعها الإمام بالرجوع شاكرا لها هذه الروح الطيبة قائلا : جزيتم من

أهل بيت خيرا .. ارجعي إلى النساء بارك الله فيك ..

ورجعت إلى الخيمة ، وبعد قليل رات وهب وهو يسقط صريعا على الأرض ، فأسرعت إليه تهنيه بالشهادة ، وجلست عند جسده الممزق بسيوف الأعداء ، وصارت تصبغ شعرها من دمه وتقول :

هنيئاً لك الجنة .. ياوهب .. وغاض العدو صمودها وإصرارها ، فأصابها أحد الجنود بالرمح فكور ظهرها وخرت شهيدة إلى جنب زوجها وهب واختلط دمها بدمه ! .

وقطعوا رأس وهب ورموا به إلى أمه ، كي يبثوا الرعب في قلوب النساء ، ولكنها استقبلت الرأس بكل شموخ واعتزاز ، وصارت تمسح الدم وتزيل التراب عن وجهه الجميل وهي تردد : الحمد لله الذي بيض وجهي بشهادتك .. ورمت بالرأس إلى معسكر العدو .[٤]

٢ـ العبيد المتحررون :

الحرية تبدأ من داخل نفس الإنسان ، وتنطلق من أعماقه ، حيث يتحرر من شهواته وأهوائه ، ثم تنعكس على سلوكه ومواقفه ، حيث يبحث عن جبهة الحق فينتمي إليها ، ويتخذ موقعه في خندقها ، غير متأثر بإتجاه الناس وبضغوط السلطة ، ولا بالتهديد والتعذيب والقتل ..

فالحر هو من لايخضع لأي قوة تريد زحزحته عن طريق الحق .. والعبد هو من يبيع حريته في إتخاذ القرار الصحيح ، والموقف

الصائب ، في مقابل شهوة أو إغراء أو تهديد . . .

وبهذا المقياس فإن أغلب من يدعون الحرية هم في الواقع عبيد ، حيث لا يمارسون حريتهم . بينما يجسد الحرية في أجلى مظاهرها وأصدق مواقفها ، بعض من يطلق عليهم الناس إسم العبيد .

وفي معركة كربلاء توفر النوعان ، فجيش يزيد كلهم أحرار مستعبدون بينما يوجد في أنصار الحسين (عليه السلام) عبيد مارسوا الحرية بحق ، واستحقوها بجدارة . . وها نحن أمام أحدهم وأسمه جون مولى أبي ذر الغفاري ، وقد وقف بين يدي الحسين يستأذنه النزول إلى المعركة . . فأجابه الحسين برقة وعطف : ياجون أنت في إذن مني فانصرف فإنما تبعتنا للعافية فلا تبتل بطريقتنا .

فلما سمع كلام الحسين (عليه السلام) تحركت الحرية في أعماق قلبه ، ورفض أن تستعبده الحياة أو حب الراحة ، وأجاب الحسين مستعينا بدموعه التي تحادرت على أطراف لحيته قائلا : يا ابن رسول الله أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم ؟

والله إن ريحي لنتن ! وإن حسبي للئيم وإن لوني لأسود ! فتنفس علي بالشهادة ليطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض وجهي !

وأضاف : لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم . .

وأسرع إلى المعركة ، فاشتبك مع إحدى مجموعات العدو ، وهو ينشد :

كيف ترى الكفار ضرب الأسود .

بالسيف ضربا عن بني محمد .

أذب عنهم باللسان واليد .

أرجو به الجنة يوم المورد .

وما زال يناضل ببسالة وصمود حتى أردوه شهيدا إلى الأرض ، فجاء إليه الحسين يهنيه بالشهادة ويدعو له قائلا : اللهم بيض وجهه ، وطيب ريحه ، واحشره مع الأبرار ، وعرف بينه وبين آل محمد (صلى الله عليه وآله)[٥]

٣- الشباب الرسالي

أحلى فرص الحياة . وأجمل مناطق العمر ، وأمتع أوقات الإنسان ، هي مرحلة الشباب . . ففيها تشب طاقاته ، وتشتد عضلاته ، وتنمو مواهبه ، ويحس حلاوة العيش . ويتذوق لذة الحياة . .

وعلى هذه المرحلة بالذات يتوقف مسستقبل حياة الإنسان ، ويتحدد إتجاهه ، لابل حياة الأمة ومصير المجتمع ، فالشباب هم صناع مستقبل الأمة ، وراسمو طريقها ، إذ أن أي تغيير أو نهضة

لاتاتي إلا من جيل الشباب ولاتقوم إلا على أكتافهم . .

وهذا ما يفسر إهتمام الأجهزة الإستعمارية ، بتمييع الشباب وتوجيه إهتمامه وطاقاته نحو اللعب واللهو والشهوات ، حتى لاتتاح له فرصة الإهتمام والتفكير في مستقبله ، ومصير وطنه ، وواقع أمته . .

ولكن الشباب الرسالي هو من يتخطى هذه الإغراءات ، ويتنبه لخطة الإستعمار الماكرة ، ويتجه بربيع عمره ، وطاقاته إتجاهاً جدياً ، فيهتم بدراسة واقعه ، ويتعرف على أوضاع مجتمعه ، ومشاكل أمته ويشارك في تقدم وطنه وإسعاده . حتى ولو كلفه ذلك معانقة الموت . .

وما أحلى أن يضحي الشاب ويموت دفاعا عن مبادىء دينه وكرامة أمته . . ؟ إنها الحياة الخالدة . .

ولذا فقد كان أكثر أبطال ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) يعيشون ربيع العمر ومرحلة الشباب . . .

وهذا أحدهم وهو علي الأكبر . الشاب الذي يصفه التاريخ بالجمال الباهر ، والذكاء العظيم ، والأدب البارع ، ويتحدث عنه أبوه الحسين ابن علي (عليه السلام) بأنه : غلام أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومَنطقاً برسولك محمد وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه .[٦]

هذا الشاب سمع أباه أثناء الطريق وقد إنتبه فزعاً وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ! .

قال: أبه خيراً إنشاء الله ؟ .

قال : سمعت هاتفاً يقول : القوم يسيرون والمنايا تسير خلفهم . . ؟

فسأل الشاب أباه بكل إيمان : أولسنا على الحق ؟

فأجابه الحسين فوراً : بلى والذي إليه مصير العباد .

قال الشاب والجد يسيطر على قسمات وجهه : إذا ما نبالي وقعنا على الموت أم وقع الموت علينا ! .(٧)

وفي كربلاء تقدم إلى أبيه الحسين في اليوم العاشر من المحرم ، ولم يكن عمره يتجاوز الثامنة عشرة ، تقدم إلى أبيه يطلب الرخصة للنزول إلى المعركة . . فنظر إليه الحسين نظرة حانية لاتملك إلا دموع الوداع العزيز . . ولم ينتظر الشاب من أبيه التصريح بالبراز بل اكتفى بالتلميح والإشارة ، وانقلب إلى المعركة وشد على القوم وهو يقول :

أنا علي ابن الحسين ابن علي .

نحن وبيت الله أولى بالنبي .

تالله لايحكم فينا ابن الدعي .

أضرب بالسيف أحامي عن أبي .

ضرب غلام هاشمي علوي .(٨)

وكان بطلاً في حملاتهِ على القوم ، يعينه على ذلك شجاعة ضارية ، وقوة شابة ، مما جعل القوم يحقدون عليه ، ويجدون في القضاء على حياته ، وما هي إلا لحظات حاسمة حتى نال الأعداء منه ثأرهم ، فهوى على الأرض بعد أن مزقت جسده سيوفهم الحاقدة . .

٤ـ البراعم الثائرة

حينما يتفتح وعي الطفل ، ويبدأ بتفهم الحياة من حوله ، فإن إدراكه يتأثر تأثراً بعيداً بنوعية الجو الذي يعيشه ، والمحيط الذي ينشأ فيه ، فهو مستعد لأن يصبح وحشاً يقلد الذئاب إن تربى معها ، كما حصل بالفعل في أدغال الهند وغاباتها حينما إختطفت الذئاب بعض الأطفال ! .

وهو مستعد لأن يضطلع بأعباء المسؤولية ، ويتحمل الآم الأمة وآمالها ، ويشارك في صنع مصير المجتمع ، رغم حداثة سنه . كل ذلك إذا عاش أجواء الثورة ، وتربى في أسرة النضال ، ونشأ في عائلة الإيمان . .

ولقد رسم أطفال كربلاء بدمائهم البريئة ، صورا وضاءة للبراعم الثائرة . . فلنستعرض أحدها :

لتوه يتخطى العقد الأول من عمره ، وهو وحيد أمه المدلل ، وقبل لحظات سقط أبوه على أرض المعركة شهيدا . . وها هو الطفل يتقلد سيفا يبدوا أنه يثقله ، وهو يبحث عن الإمام الحسين (عليه

السلام) فلما رآه واقفاً على باب إحدى الخيم ، أسرع إليه ، وبكل تأدب وقف بين يدي الإمام ، وأدى إليه التحية :

السلام عليك يا أبا عبد الله . .

فرد الحسين عليه تحيته وسلامه . ثم نظر إليه بحنو وقال : نعم ماذا تريد يابني ؟

ـ الإذن . .

ـ الإذن في ماذا ؟

ـ أبا عبد الله أريد أن تأذن لي بالخروج إلى المعركة حتى الحق بأبي في الجنة . .

أعجب الحسين بهدوئه وتصميمه وبطولته على حداثة سنه . . وبكى للظروف التي ألجأته لمثل هذا الموقف الحزين . .

والتفت الحسين إلى من حوله قائلا :

هذا قتل أبوه في المعركة ، وأخشى أن لاترغب أمه في قتاله .

فرد الطفل بشجاعة : سيدي . . إن أمي هي التي قلدتني حمائل سيفي . . وأمرتني بالجهاد بين يديك . .

فرق الحسين له ولأمه وقال : بارك الله فيكم .

فاعتبرها الطفل رخصة : وهرول إلى المعركة وبدأ يهاجم الأعداء

وهو ينشد :

أميري حسين ونعم الأمير .

سرور فؤاد البشيرالنذير .

له طلعة مثل شمس الضحى

له غرة مثل بدر منير .

علي وفاطمة والداه .

فهل تعلمون له من نظير؟ .[9]

واحتوشته سيوف القوم الباغية ، فتركوا جسده ممزقا ، تفيض منه دماء الطفولة البريئة تتحدى الظلم والإنحراف ، وتروي شجرة العدل والحرية . .

طفل بعمر العطر يمتشق الحسام .

يمشي كضوء الفجر ما بين الخيام .

يمشي على استحياء .

يبحث عن « حسين » .

. . . .

ويقوم بين يديه .

منتصب الجبين .

ـ : يابن النبيين العظام .

هتف الإله بداخلي .

أن أستجيب نداك في دحر الظلام .

مولاي !

هل من رخصة

لأكون قرباناً صغيراً من قرابين النهار ؟

ويهرول الطفل العظيم إلى القتال

ـ : مهلاً بني . .

مهلاً لأعرف رأي أمك

ـ :إنها شدت على ظهري الحزام !

ويهرول الطفل العظيم إلى القتال[10]

الهوامش

---

(١) الري شهري : ميزان الحكمة ج ٤ ص ٣٢٧ .
(٢) الري شهري : ميزان الحكمة ج ٤ ص ٥٣٠ .
(٣) سورة التوبة ـ ٧١ .

(٤) المجلسي : بحار الانوار ج ٤٥ ص ١٧ والخوارزمي : مقتل الحسين ج ٢ ص ١٣ .

(٥) المجلسي : بحار الانوار ج ٤٥ ص ٢٣ والبحراني : العوالم ج ١٧ ص ٢٦٦ .

(٦) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ٣٠٨ .

(٧) الخوارزمي : مقتل الحسين ج ١ ص ٢٢٩ .

(٨) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠ .

(٩) الخوارزمي : مقتل الحسين ج ٢ ص ٢٢ .

(١٠) مقطوعة للاستاذ السيد هادي المدرسي .

رسالة المجالس الحسينية

إن المبادىء والأطروحات لايمكن لها أن تتمكن من نفوس المجتمع وتترسخ في كيانه ، وتتحول إلى عملية سلوكية مالم يساندها ويرافقها برامج تطبيقية ، ورموز مادية تعمل على تثبيت ركائز تلك الاطروحات والقيم في صميم المجتمع ، وفي أغوار نفوس أفراده ، وأعماق مشاعرهم ، وألباب عقولهم ، ليتحولوا هم بدورهم إلى صور تجسيدية صادقة تنم عن واقعية تلك القيم والمبادىء وسيادتها في المجتمع .

ومالم تتوافر تلك المشاريع والمراسيم والطقوس والأفعال المعبرة عن ترسخ القيم في نفوس أفراد المجتمع ، فسوف تظل تلك القيم والمبادىء الجديدة مجرد أفكار تراوح مكانها في عقول الناس وأذهانهم ، منفصلة عن واقع الحياة وممارسات المجتمع ، ثم لاتلبث أن تضمحل في طريقها إلى الزوال .

فمن يؤمن بأهمية الرياضة الجسمية ـ مثلا ـ وضرورة نشرها في المجتمع لابد له من وضع برامج ونشاطات رياضية . . ومن يهتم بالفن والأدب ويريد إحياءه في المجتمع عليه أن يسعى لتوفير الأعمال

والأجواء المشجعة لذلك .

والإسلام كمجموعة من القيم والمبادىء الربانية التي أراد الله لها أن تتحول إلى واقع في حياة البشر : كقيمة الخضوع لله . . والتوحيد . . والحرية . . والكرامة . . والعدالة . . فإنها لن تتكرس في واقع المجتمع وتتحول إلى سلوكيات وممارسات يوميه طالما بقيت مجرد أفكار ونظريات جامدة في العقول والأذهان ، بل مصيرها النقصان والتلاشي . فلابد من وجود برامج ونشاطات تعمل على ترسيخ هذه القيم في النفوس .

وقوة أي مبدأ إنما تكمن في قدرته على تجسيد ذاته في كيان المجتمع ، وصب أفكاره على شكل تقاليد وبرامج يمارسها الناس في حياتهم الإجتماعية والفردية .

ولذا فقد رافقت قيم الإسلام ومبادئه ممارسات وشعائر وعبادات وطقوس تعمل على دعمها وتكريسها في حياة المجتمع ونفوس أبنائه . وهذه الممارسات والعبادات بذاتها ليست هدفاً وغاية ، وإن كانت واجبة وضرورية ، وإنما هي وسيلة وسبيل لتعميق تلك القيم في نفوس العباد وتشييدها في ضمائرهم ، فالصلاة والزكاة والخمس والصيام والحج وسائر العبادات والفرائض والشعائر الدينية ليس مقصوداً منها حركاتها وشكلياتها وإنما ماتخلفه وتنشئه تلك العبادات من روح وقيم . والقرآن الكريم صرح بهذه الحقيقة ، وبين في كثير من الأحايين غاية كل عبادة ، فعن الصلاة يقول تعالى : ﴿ **إن الصلاة تنهى عن**

الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾[1] .

وعن الصوم يقول سبحانه : **﴿ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾**[2] .

وعن مناسك الحج والأضحية فيه يقول تعالى : **﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾**[3] .

واذا ما حدث هناك إنفصال بين العبادات والقيم التي جاءت العبادات من أجلها فإن القيم لن تتركز في نفوس المجتمع ، ولا العبادات سوف تؤدي غرضها ، وإنما سوف تتحول إلى طقوس وممارسات جوفاء وإعتيادية ، لاترمي إلى تحقيق أية قيمة ، فالصلاة ، لن تؤدي إلى صلاح سريرة الإنسان وتردعه عن فعل الخنى ، ولا الصوم سوف يؤدي إلى خلق التقوى في نفسية فاعله .

من هنا نرى النصوص الدينية توبخ المفرقين بين الوسيلة والغاية ، بين الطقوس العبادية والقيم . . فقد ورد عن رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) « رُب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورُب قائم حظه من قيامه السهر »[4] .

وعن الإمام علي (عليه السلام) : « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا العناء ، حبذا نوم الأكياس وإفطارهم »[5] .

كما أن القرآن الكريم يصف الإنسان الذي يتنكر ويتغافل عن نتائج وأهداف الصلاة بالمكذب بالدين ، يقول تعالى : **﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولايحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾**[٦] .

إذن فالصلاة التي لاينتبه مؤديها لما تعبر عنه وتؤدي إليه لاتفيد صاحبها ، لأنها إنفصلت عن مضامينها . والإمام علي (عليه السلام) يقول في خطبة له : (وإن للإسلام غاية فانتهوا إلى غايته)[٧] .

إشارة إلى وجوب أداء الوسائل من عبادات وشعائر مفترضة بشكل يكفل الإنتهاء بها إلى غايات الإسلام وأهدافه وليس الإلتهاء بتلك الوسائل والوقوف عندها ، إذ أن مجرد ممارستها لاتوصل المرء إلى مرضاة الله ما دامت لم تؤت ثمارها ولم تنعكس على شخصية فاعلها وفي حديث الرسول الأعظم عن المرأة التي كانت تصلي وتصوم ولكنها كانت تؤذي جارية لها دلالة واضحة فقد سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمرأة تسابّ جارية لها وهي صائمة فدعا رسول الله بطعام فقال لها : « كُلي ! فقالت : أنا صائمة يارسول الله ! فقال : كيف تكونين صائمة وقد سَبَبْتِ جاريتك ؟! إن الصوم ليس من الطعام والشراب وإنما جعل الله ذلك حجاباً عن سواهما من الفواحش من الفعل والقول يفطر الصائم ، ما أقل الصوّام وأكثر الجوّاع »[٨] .

قيمة التضحية والجهاد

ومن الشعائر والعبادات التي تستهدف تنمية روح الرفض والمقاومة للباطل ، والتضحية من أجل الله والحق والحرية ، الشعائر التي تقام أيام المحرم حيث يلتقي حشود الموالين لآل البيت (عليهم السلام) تحت لواء الثورة الحسينية الخالدة وينهلون منها القيم الإلهية التي دعا لها الإمام الحسين وآل بيته الطاهرون (عليهم السلام) إذ تعتبر تلك المراسم إمتدادا طبيعيا لثورة الإمام الحسين فما كان لثورة الإمام الحسين أن تتناقل عبر الأجيال إلى أن تصل إلينا إلا عبر هذه الشعائر والتقاليد العظيمة ، وهي ذاتها التي حفرت في نفوس الشيعة روح المقاومة للظلم وميّزتهم عن سائر الفرق والمذاهب الأخرى .

ويخطىء من يظن أن هذه المراسم تكونت بشكل عفوي وتحولت إلى عادات وتقاليد متوارثة نتيجة للفورة العاطفية التي خلفتها ، بل هي منهج موضوع من قبل آل البيت (عليهم السلام) أنفسهم وتحت رعايتهم من أجل بعث القيم التي نادوا بها في نفوس أشياعهم ، وإن كان قد دخل عليها بعض التطويرات والإبداعات غير المخلة بجوهرها لتناسب واقع المجتمع ، فالقيام بها والمحافظة عليها أمر مطلوب ، وقد

تواترت الأحاديث الكثيرة عن الأئمة (عليهم السلام) مطالبة الموالين بعقدها ومشجعة على تشييدها وإقامتها . فعن الإمام الرضا (عليه السلام) : (من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا ، كان معنا في درجتنا يوم القيامة ومن ذكر مصابنا فبكى وأبكى ، لم تبك عينه يوم تبكي العيون ، ومن جلس مجلسا يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب)[٩] .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : (من دمعت عينه فينا دمعة ، لدم سفك لنا ، أو حق لنا نقصناه ، أو عرض انتهك لنا ، أو لأحد من شيعتنا بوّأه الله تعالى بها في الجنة حقبا)[١٠].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال : (رحم الله عبدا اجتمع مع آخر فتذاكروا في أمرنا فإن ثالثهما ملك يستغفر لهما ، وما اجتمع إثنان على ذكرنا إلا باهى الله بهما الملائكة فإذا إجتمعتم فاشتغلتم بالذكر فان في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياءنا وخير الناس بعدنا من ذكرنا ودعى إلى ذكرنا)[١١].

وقد شجع الأئمة (عليهم السلام) الشعراء الموالين على نظم الشعر فيهم ووهبوهم الجوائز والمكافآت ووعدوهم الحسنى والمغفرة .

حكى دعبل الخزاعي ، قال : دخلت على سيدي ومولاي . . علي بن موسى الرضا ، في أيام عشر المحرم ، فرأيته جالساً جلسة الحزين الكئيب ، وأصحابه من حوله ، فلما رآني مقبلاً ، قال لي :

مرحباً بك يادعبل ، مرحبا بناصرنا بيده ولسانه ثم إنه وسع لي في مجلسه ، وأجلسني إلى جنبه ، ثم قال لي : يادعبل أحب أن تنشدني شعرا ، فإن هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت ، وأيام سرور كانت على أعدائنا ، خصوصا بني امية ، يادعبل ، من بكى أو أبكى على مصابنا ـ ولو واحداً ـ كان أجره على الله ، يادعبل : من ذرفت عيناه على مصابنا وبكى لما أصابنا من أعدائنا ، حشره الله معنا في زمرتنا ، يادعبل : من بكى على مصاب جدي الحسين غفر الله له ذنوبه البته ، ثم إنه نهض وضرب سترا بيننا وبين حرمه ، وأجلس أهل بيته من وراء الستر ليبكوا على مصاب جدهم الحسين ، ثم إلتفت الّي ، وقال : « يادعبل إرث الحسين ، فأنت ناصرنا ومادحنا ومادمت حياً ، فلا تقصر في نصرتنا ما استطعت » . قال دعبل فاستعبرت وسالت عبرتي وأنشأت أقول :

أفاطم لو خلت الحسين مجدّلا وقد مات عطشاناً بشط فرات

إذن للطمت الخد فاطم عنده وأجريت دمع العين في الوجنات

وروى الصدوق في العيون أن دعبل بن علي الخزاعي لما أنشد الرضا (عليه السلام) تائيته المشهورة ، وانتهى إلى قوله : (البيتين السابقين) . (لطمت النساء ، وعلا الصراخ من وراء الستر وبكى الرضا بكاءاً شديداً حتى أغمي عليه مرتين)[١٢]

وروى أبو الفرج الأصفهاني ، في الأغاني بسنده : (أنه لما دخل

الحميري على الصادق (عليه السلام) أقعد حرمه خلف الستر ، ثم استنشده في رثاء جده الحسين فأنشده أبيات كثيرة . قال راوي الحديث : فرأيت دموع جعفر تنحدر على خديه ، وارتفع الصراخ من داره حتى أمره بالإمساك ، فأمسك)[١٣]

بل إن الأئمة خصصوا أموالاً لإقامة الشعائر والنياحة عليهم ففي التهذيب للطوسي ، عن يونس بن يعقوب ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال لي أبو جعفر : (أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب يندبنني عشر سنين ، بمنى أيام منى)[١٤]

وفي زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) المأثورة : (. . السلام على من أمر أهله بالنياحة عليه قبل وصول المنية اليه . .)[١٥]

وفي جلاء العيون عن زرارة ، قال : أوصى أبو جعفر بثمانمائة درهم لمأتمه وكان يرى ذلك من السنة لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : (اتخذوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا)[١٦]

الهوامش

معطيات الشعائر الحسينية

والواقع إن الشعائر الحسينية مصدر قوة في كيان شيعة آل البيت ، ورابط قوي يربطهم بأصالتهم وجذورهم التاريخية ، وهي لذلك تحتاج إلى بحث عميق ودقيق لإستخراج كنوزها وتطويرها والإستفادة منها بقدر ما أراده الأئمة من تشريعها وتتجلى بعض فوائدها في النقاط التالية :

١/ بروز قوة الجماهير الموالية لآل البيت (عليهم السلام) :

ففي محرم الحرام تتهافت الجماهير الموالية لآل البيت على مجالس الحسين (عليه السلام) وتكّون حلقات ومسيرات العزاء ، فيدب في قلوب الأعداء الخوف والرعب من تلك الحشود العريضة التي اجتمعت في موعد واحد وتحت راية واحدة ـ رايه ثورة الحسين (عليه السلام) ـ هاتفة بصوت واحد (يا لثارات الحسين) مجلجلة في الآفاق مدللة على عظمة الجماهير الموالية لآل البيت وقوتها ، وضعف الأعداء وعجزهم . إنها تجمعات ونشاطات شعبية مستقلة خارج إطار الحكومات والسلطات وهذا بحد ذاته شيء مهم فالسلطات الديكتاتورية تريد

إحكام سيطرتها على الناس وتخشى الإجتماعات الجماهيرية والفعّاليات الشعبية المستقلة ، والشعائر الحسينية تعني إنفلات الجماهير عن هيمنة الحاكمين .

٢/ تأكيد الولاء لآل البيت :

إن الشعائر التي تقام في مصاب الإمام الحسين (عليه السلام) من عزاء ومجالس يقرأ فيها آيات الثورة والجهاد وتعرض فيها صور ونماذج العظماء في التاريخ لتدل دلالة واضحة على ولاء الشيعة لأئمتهم وقادتهم وتخليهم عن القياداتٰ المزيفة . فالحزن والبكاء الذي يبديه الشيعي حين ذكر مأساة كربلاء ، والعاطفة التي تجيش بها مشاعره وأحاسيسه ، توثق الرابطة وتؤكد الولاء ، ففي كل عام يجدد العهد والبيعة لخط أهل البيت ، وكل الجهود التي يبذلها أعداء أهل البيت لتضليل الناس وبلبلة الأفكار حول التشيع تذهب هباء منثورا ببركة الشعائر الحسينية . وينقل عن أحد القيادات الشيوعية في العراق قوله : (إن الشيوعيين يعملون طوال السنة لبث أفكارهم ومحاربة الدين في المجتمع فتأتي عشرة أيام المحرم لتنسف كل جهودهم طوال السنة !!) .

٣/ إحياء مبادىء وقيم أهل البيت :

فرصة ثمينه بيد المؤمنين غير متوافرة عند سواهم .. محطة وقود تفتقدها المذاهب الأخرى .. إنها محطة أبي عبد الله الحسين (عليه

السلام) ، التي تفتح أبوابها مطلع كل عام ، لإستقبال العطشى والجائعين والضائعين والمتشوقين لإستعادة قواهم ، وتوكيد ذواتهم ، ومعرفة أنفسهم ، ومراجعة حساباتهم ، ومعرفة تأريخهم ورجالاتهم العظام ، حيث يشرع الخطباء في تقديم النصوص والروايات والحقائق عن آل البيت واستعراض أهدافهم وتضحياتهم ، التي ربما طواها النسيان والإنشغال بهموم المعيشة لدى الناس . ولذا فإن أعداء أهل البيت يركزون جهودهم لمحاربة الشعائر الحسينية لمعرفتهم بأنها النبع الذي يسقي جذور التشيع وينمي ثماره . .

وأخيرا أصدر أحد العملاء الحاقدين كتابا طائفيا ، ضمن الجهود والنشاطات التي ترعاها الجهات المغرضة لإثارة الفتن والخلافات بين المسلمين . ويهمنا من ذلك الكتاب حنق الكاتب على دور الحسينيات والشعائر الحسينية واعترافه بدورها في تلقين أبناء المجتمع مبادىء أهل البيت وتعاليمهم حيث يقول مانصه :

(لأن الشاب الشيعي ملقن بواسطة الحسينيات)[١٧].

الهوامش

---

(١) العنكبوت ـ ٢٩ .
(٢) البقرة ـ ١٨٣ .
(٣) الحجّ ـ ٣٧ .
(٤) ميزان الحكمة ج ٥ ص ٤٦٩ للري شهري

(٥) ميزان الحكمة ج ٥ ص ٤٦٩ للري شهري .
(٦) الماعون - ١ - ٥ .
(٧) المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة ٩٨٦ .
(٨) ميزان الحكمة ج ٥ ص ٤٧٢ .
(٩) الشعائر الحسينية ص ٤٤ للشهيد السيد حسن الشيرازي .
(١٠) الشعائر الحسينية ص ٤٥ - ٥٧ للشهيد السيد حسن الشيرازي .
(١١) الشعائر الحسينية ص ٤٥ - ٥٧ للشهيد السيد حسن الشيرازي .
(١٢) الشعائر الحسينية ٦١ ص ٦٢ للشهيد السيد حسن الشيرازي .
(١٣) الشعائر الحسينية ٦١ ص ٦٢ للشهيد السيد حسن الشيرازي .
(١٤) الشعائر الحسينية ص ٥٣-٥٥ للشهيد السيد حسن الشيرازي .
(١٥) الشعائر الحسينية ص ٥٣-٥٥ للشهيد السيد حسن الشيرازي .
(١٦) الشعائر الحسينية ص ٥٣-٥٥ للشهيد السيد حسن الشيرازي .
(١٧) رجال الشيعة في الميزان - عبدالرحمن عبدالله الزرعي (ويبدو ان اسم المؤلف وهمي مستعار) .

كيف نستثمر
المجالس الحسينية ؟

المجالس الحسينية قوة هائلة ونبع عظيم ، ومع كل الفوائد التي نجنيها الآن من هذه المجالس ، إلا أننا بعد لم نستوعب كل عطاءاتها ، وما تزال أمامنا آفاق كبيرة ، لإستثمار هذه الشعائر ، والإستفادة منها ، خاصة في مثل هذه الظروف الحساسة التي تعيشها الأمة . .

ومن أجل إستفادة أكبر من هذه الشعائر الحسينية لابد من التاكيد على الأمور التالية :

١/ الخطباء الرساليون :

ففي المجالس الحسينية يحتشد الألوف من الناس وبمشاعر يقظة ونفوس متفاعلة منشدة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) وما يجسده من تضحية وفداء في سبيل الله فإذا ما كان الخطيب عارفا بحق الإمام الحسين حاملا لهم ثورته المقدسة مدركا لما تحتاجه المرحلة من توجيه وإرشاد فإن خطابته ستعود بالنفع الكبير على المجتمع . .

ومع الأسف فان مجتمعاتنا تواجه نقصا واضحا في هذا المجال فمن

حيث الكم لايوجد خطباء بالمقدار الكافي للحشود والتجمعات الحسينية فقبيل المحرم تنهال الطلبات والدعوات على الخطباء ومن مختلف المناطق ، وبلاد كثيرة محرومة من وجود خطباء يديرون برامج عاشوراء . .

وقد يضطر بعض الخطباء إلى الالقاء في العديد من المجالس والتجمعات مما لايتيح له فرصة إستيفاء المواضيع وتركيزها .

أما من ناحية الكيف فالبعض من الخطباء لايمتلك كل المواصفات المطلوبه والتي تؤهله لإستثمار هذه الفرصة العظيمة وتوجيه الناس إلى مسؤولياتهم الدينية والإجتماعية . .

وكما يهتم المؤمنون ببناء الحسينيات الضخمة ويخصصون قسطا من ممتلكاتهم وقفا على هذه الحسينيات وببذلون الكثير من أموالهم لتكاليف الشعائر الحسينية فيجب التفكير في إعداد من يدير هذه الحسينيات ويحقق الهدف المنشود من ورائها وهم الخطباء الرساليون الواعون . .

لذا يجب تشجيع أكبر عدد ممكن من أبناء المجتمع للتوجه للدراسة الدينية وتعلم الخطابة وتوفير مستلزمات هذا الأمر .

٢/ توسيع القاعدة الجماهيرية :

مضى ذلك الزمان الذي كانت فيه الحقائق غير واضحة للناس ، وكانت الطائفية المقيتة تنخر في أعماق مجتمعاتنا الإسلامية . . وعصرنا الآن عصر الوعي والصحوة الإسلامية . .

وإذا كانت قضية الحسين في الماضي مطروحة بصيغية طائفية خاصة بالشيعة . . وكان لدى سائر المسلمين فكرة مشوهة وإنطباع سيء عن ممارسة الشعائر الحسينية . . فإن الوضع الآن قد تغير بفضل الصحوة الإسلامية .

فلا يصح إذا أن تبقى قضية الإمام الحسين محصورة في المجتمعات الشيعية فقط فالحسين ليس حكرا على طائفة وإنما هو إمام لكل المسلمين وسبط رسول الله الذي هو نبي الأمة جمعاء واستشهد من أجل دين الله ودفاعا عن حقوق عباد الله . .

فينبغي دعوة سائر المسلمين وتشجيعهم لحضور المجالس الحسينية وإقامة مثيل لها في تجمعاتهم يتناسب مع أوضاعهم وتطوير برامج الشعائر الحسينية بشكل يمكنه إستقطاب أبناء المذاهب الأخرى من المسلمين . .

٣/ معالجة قضايا المجتمع :

إن تكرار سيرة الحسين (عليه السلام) وسرد تفاصيل مصيبته شيء جيد ومطلوب لحفرها في ذاكرة الزمن والأجيال ولكن ليس صحيحا تقديم سيرة الحسين (عليه السلام) كقصة تاريخية مأساوية لاعلاقة لها بحاضر المجتمع ولا إرتباط لها بمشاكله وهمومه المعاصرة . .

بل ينبغي تسليط الأضواء من خلال السيرة الحسينية على واقع الأمة وإقتباس المفاهيم والرؤى التي تضيء للناس طريق حياتهم وتعالج مشاكلهم . .

إن مجتمعاتنا اليوم تعاني من مشكلات عديدة فهي تعيش في ظل القمع والإستبداد وتعاني من حالة الإستسلام والخنوع وتمزق أوصالها الخلافات والصراعات وينتشر في أجوائها الفساد والإنحراف وتعصف بأفكار أبنائها أمواج من التضليل الإعلامي والتشويش الثقافي . .

والمجالس الحسينية ينبغي الإستفادة منها بأكبر قدر ممكن لمعالجة هذه المشكلات والأوضاع . . وإذا لم تسمح الظروف للخطيب أن يتناول قضايا السياسة فليعالج القضايا الاجتماعية والثقافية وليزرق نفوس الناس بإشعاعات من الروح الحسينية الأبية . .

والواقع إن لقضية الإمام الحسين جانبين . . جانب العاطفة وجانب الفكر .

ففي الوقت الذي يحاول الخطيب أن يربط نفوس الجماهير ويستثير عواطفهم للإمام الحسين (عليه السلام) ويذكرهم بمصيبته وما حل بأهله ويستدر دموعهم وأحزانهم في الوقت ذاته عليه أن يقدم الرؤى السليمة النابعة من روافد ملحمة كربلاء ويعرض قيم ومبادىء آل البيت (عليهم السلام) لينهل منها كل محب لهم ويحل مشاكل المجتمع الذي لاذ بالحسين ومجالسه طلبا للشفاء وعلاجا لمشاكله وقضاياه فهل يجد الدواء !!.

ولو حاول كل خطيب من الخطباء أن يشرح للناس كلمات الإمام الحسين وخطبه البطولية العظيمة ويوجه الناس للربط بين مايقوله

الإمام الحسين وبين واقعهم المعـاش لكان في ذلك الكثير من الفائدة والنفع . .

فكلمات الإمام الحسين عبر ثورته المقدسة تعبر عن هموم المظلومين والرساليين في كل عصر وجيل . . وتشخّـص مظاهر الانحراف والفساد في الأمة وتحدد الطريق الصحيح للخلاص والتحرر كقوله (عليه السلام) : (ألا ترون إلى الحق لا يعمل به ، وإلى الباطل لايتناهى عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقا فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما)[1]

وكقوله عليه السلام :

(ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين ، بين السلة والذلة ، وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت وطهرت ، وأنوف حمية ونفوس أبية ، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر)[2]

الهوامش

(١) الوثائق الرسمية لثورة الامام الحسين ص ١١١ للقزويني .
(٢) الوثائق الرسمية لثورة الامام الحسين ص ١٧٤ للقزويني .

مواصفات

الخطيب الرسالي



حينما حدث الإنفصال في تاريخ الأمة الإسلامية بين الرسالة والسلطة ، فأصبح الحكم لايمثل الرسالة ولا ينفذ براجحها وتعاليمها بسبب فساد الحاكمين وشرعيتهم .. هنا أصبحت وسائل الإعلام والتوجيه الجماهيري مجيّرة لصالح السلطات الحاكمة وغير معبّرة عن ثقافة الإسلام ولاتحقق أهدافه في إرشاد الناس وتوعيتهم ..

ووسائل الإعلام والتوجيه آنذاك كانت محدودة تكاد تقتصر على منابر صلاة الجمعة والأعياد ورواة الأحاديث والشعراء .

وفي عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأثناء حكم الخلفاء الصالحين كانت خطب الجمعة والأعياد مصدراً لهداية الناس وتوعيتهم بمبادىء دينهم وظروف حياتهم السياسية والإجتماعية .. كما كانت قصائد الشعراء المؤمنين تلهم الناس الشجاعة والصمود وترفع معنوياتهم وتؤكد المواقف والحوافز الخَيّرة في نفوسهم .

أما في عصور السلطات المنحرفة كالأمويين والعباسيين والعثمانيين وأمثالهم فقد استغلت منابر التوجيه الديني لخدمة مصالح السلطة

وتكريس وجودها وكانت تقوم بمهمتين خطيرتين :

الأولى : تزييف وتشويه الفكر والثقافة الإسلامية الأصيلة ، والإعراض عن المسائل الجوهرية في الإسلام ، وعزل الدين عن السياسة والحياة ، والتطرق إلى الأمور الجزئية والجانبية ، فقد كانت فكرة الجبر وسلب الإرادة ، والإختيار من الإنسان وفكرة الخضوع للحاكم مهما كان جائراً وأمثال هذه الأفكار التحريفية هي المواضيع الأساسية للتوجيه في ظل الحكام الفاسدين .

الثانية : التضليل الإعلامي والسياسي ، فالسلطة التي لاتعبر عن طموحات المجتمع وقيمه لابد لها أن تبرر مواقفها وسياستها ، وأفضل وسيلة كانت لديهم هي إستغلال المنابر الدينية ، فكانت الحكومات الأموية والعباسية وماشاكلها تستغل المساجد والمناسبات الدينية التي تلقى فيها الخطب والقصائد الشعرية لإضفاء الشرعية على الحكم ، وتبرير ممارساته وأعماله ، والسلطات الحاكمة في أغلب بلاد المسلمين الآن تسير أيضاً على نفس هذا النهج ، حيث جيّرت كل الوسائل الإعلامية والمنابر الدينية لصالحها ولخدمة أغراضها ، وتبرير ارتباطاتها : كالصحف والمجلات والإذاعات والتلفزة والمساجد وخطب المناسبات الدينية ، فليس خافياً على أحد أن خطب الجمعة والأعياد والحج والمناسبات الدينية الأخرى تصل إلى الخطباء مطبوعة ومختومة من وزارات الأوقاف السلطوية ، ففي الحج هذا المؤتمر العالمي الإسلامي وحيث يحتشد حوالي مليوني مسلم من مشارق الأرض

ومغاربها في بقعة واحدة ، وفي رحاب العتبات المقدسة عادة ما تكون الخطب الدينية متمحورة حول قضايا جزئية جانبية بعيدة عن قضايا المسلمين المصيرية بل تستهدف تلك الخطب غالباً إثارة التفرقة بين المسلمين بالحديث عن تكفير من يزور قبور الأولياء ، ويقبّل ضريح الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وكأن مشاكل الأمة الإسلامية كلها تتلخص في هذه المسألة !!

أمام هذا الإحتكار الإعلامي والإستغلال السياسي للمنابر الدينية كان للواعين من أبناء الأمة أن لايقفوا مكتوفي الأيدي مكممي الأفواه ، وإنما سعوا لإيجاد منبر آخر يواجه منابر إعلام السلطات ويفضحها وينشر الوعي في صفوف المجتمع باستقلالية وإخلاص ، فكانت الحسينيات تقوم بالدور الذي صادرته الحكومات من المسجد .

والمتتبع للدور الذي لعبه المنبر الحسيني يكتشف أن هذا المنبر كان وسيلة صادقة تعمل على نشر الفكر والثقافة الإسلامية الأصيلة وفضح سياسات الحكومات الفاسدة . . وتعميق الروح الثورية . . والولاء لآل البيت (عليهم السلام) . . على امتداد التاريخ ، فكل خطيب يرتقي منبر الحسين كان عليه أن يطرح مبادىء وأهداف آل البيت ورؤيتهم للواقع ويحصن مستمعيه أمام إعلام السلطات .

وكذلك كان دور الشعراء الموالين لآل البيت (عليهم السلام) حيث ينظمون مصائب وأخلاق وأفكار وشريعة آل البيت (عليهم

السلام) في قصائد شعرية تنبض بالروح الرسالية الفياضة ، فشاعر كدعبل الخزاعي (رضوان الله عليه) لم يكن يرتزق بشعره ، بل كان يؤدي رسالة عظيمة إذ ينطوي شعره على مضامين أصيلة يعمق بها الولاء لآل البيت في نفوس المؤمنين ويفضح السلطات الجائرة ، وكذلك السيد الحميري ، وأبو المستهل الكميت وأمثالهم . .

وتطورت المجالس الحسينية عصراً بعد عصر وجيلاً بعد جيل ، ولعبت هذا الدور الكبير في تأكيد ولاء الجماهير المؤمنة لخط أهل البيت - خط الجهاد والثورة - .

وللخطيب دور رئيسي في تحديد مدى تفاعل الناس وإستفادتهم من المجالس الحسينية فإذا كان الخطيب واعياً ملتزما فستعود خطابته على المستمعين والمجتمع بالخير والصلاح أما إذا كان دون ذلك فستضيع على مستمعيه فرصة عظيمة وسيحرمون من خيرات وبركات منبر الحسين . . ولم تسلم المنابر الحسينية من تسلل الإنتهازيين والمنحرفين إلى ذواتها ولكنهم لايشكلون إلا نسبة قليلة والحمد لله أما أكثرية الخطباء الحسينيون فهم من خيرة المجتمع وإن كانوا يتفاوتون في مستوياتهم ومدى قدرتهم العملية والخطابية وعطائهم الإجتماعي .

وقد حدد الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) معالم الخطابة الحسينية ، فقد أمر يزيد بن معاوية أحد الخطباء المرتزقة في مجلسه بأن يصعد المنبر وينال من آل رسول الله ، والذين كانت

عيالاتهم أسرى في المجلس ، ويدين ثورة الإمام الحسين ويثني على يزيد وبني أمية ويتشدق بأمجادهم وانتصاراتهم !! وسارع ذلك الخطيب المرتزق إلى المنبر وبالغ واجهد نفسه في التملق ليزيد والتشمت بما حدث لأهل البيت عليهم السلام .. وهنا صاح به الإمام زين العابدين (عليه السلام) : (ويلك أيها الخاطب اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق فتبوأ مقعدك من النار) .

ثم التفت الإمام إلى يزيد قائلاً :

(أتأذن لي أن أصعد الأعواد فأتكلم بكلمات فيهن لله رضا ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب ؟)[1] .

وبهذه الكلمة رسم الإمام (عليه السلام) سياسة الخطابة الحسينية فهي تستهدف أولاً رضا الله وثانياً مصلحة المجتمع .

وعلى ضوء هذه الكلمة الصادقة يمكننا تحديد أهم المواصفات التي يجب أن تتوفر في الخطيب ليكون رسالياً ومستحقاً لرضا الله سبحانه ونافعاً للمجتمع :

أولاً : الالتزام والتقوى ..

ينبغي أن تنبع توجيهات وإرشادات الخطيب من قلبه وعقيدته الراسخة ، والتزامه بالأوامر والنواهي الإسلامية ، ولايمكنه أن يهدي المجتمع وهو بعد لم تتكامل في شخصيته الهداية والصلاح ، وإلا فإن أحاديثه سوف تذهب سدى فلا الله سبحانه وتعالى سيتقبل عمله

ويؤجره عليه ، ولا الناس سوف يتجاوبون ويتأثرون بما يلقي عليهم ، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾[٢] .

ويقول تعالى : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾[٣] .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم)[٤] .

فالخطيب عندما يستعرض تضحيات أهل البيت (عليهم السلام) من على المنبر ، ويؤكد وجوب مقاومة الظالمين اهتداءاً بسيرة الأئمة ، فيجب أن يكون هو في طليعة المقاومين للظلم والظالمين ، وإلا فإن تأثيره العاطفي في الحضور ، ودفعهم للمشاركة الوجدانية ، والتأثير لمصاب الأئمة ليس عملاً كافياً لدخول الجنة ، بالرغم من تواتر الأحاديث في فضل الشعراء والخطباء المساندين لآل البيت ، وتقديم الوعود لهم بدخول الجنة جراء ما يقومون به من أدوار . ذلك أن الإسلام كلٌ لايتجزأ ، فلا يجوز العمل ببعضه وترك البعض الآخر أو تناسيه ، أو تطبيق جزء من الأحاديث التي تكفل دخول الجنة بإغفال الأحاديث الأخرى التي تحذر من الإنزلاق في النار . فقد ورد في الحديث عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قال : (رأيت ليلة أُسريَ

بي إلى السماء قوماً تقرض شفاههم بمقاريض من نار ثم ترمى .

فقلت : ياجبرئيل ! من هؤلاء ؟

فقال : خطباء أمتك ، يأمرون الناس بالبرِّ وينسون أنفسهم ، وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون)[٥] .

ويقول زرارة بن أوفى ، دخلت على عليّ بن الحسين .

فقال : (يازرارة ! الناس في زماننا على ست طبقات : أسد وذئب وثعلب وكلب وخنزير وشاة . . وأما الثعلب فهؤلاء الذين يأكلون بأديانهم ولايكون في قلوبهم ما يصفون بألسنتهم)[٦] .

وأوحى اللهإلى عيسى بنِ مريم (عليه السلام) : (. . فإن إتعظت ، وإلاّ فاستحي منّي أن تعظ الناس)[٧] .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : (إن العالم إذا لم يعمل بعلمه ، زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا) .

ويقول الإمام علي (عليه السلام) : (رب زاجر غير مزدجر ورب واعظ غير متعظ)

ويروى أن أمرأة طلبت من رسول الله(صلى الله عليه وآله) أن ينهى ولدها عن أكل التمر لأنه كان يضر بصحته فاستمهلها الرسول إلى الغد وجاءت بولدها في اليوم الثاني فنهاه الرسول عن أكل التمر . . فسأل الأصحاب من رسول الله(صلى اللهعليه وآله) عن سبب

التأجيل ولماذا لم ينهه بالأمس ؟ فأجابهم بأنه كان قد أكل التمر فكيف ينهى عنه أما في اليوم الثاني فقد حرم نفسه من التمر ليكون نهيه صادقاً ومؤثراً .

وينقل أيضاً أن أحد العلماء الصالحين جاءه عبد يطلب منه التحدث للناس في خطبة الجمعة عن فضل عتق الرقيق في سبيل الله ، لكي يتخلص هو من عبوديته ويعتقه مالكه ، فوعده العالم بالتحدث عن هذا الموضوع ، فبقى العبد ينتظر حتى مضت عدة أشهر ثم ألقى العالم موضوعاً مدعماً بالروايات والأحاديث عن ثواب عتق العبيد ، وقد تأثر لهذه الخطبة مالك العبد فعتق عبده فجاء ذلك العبد إلى العالم شاكراً له ومستفسراً عن سر تأخره طوال الفترة الماضية ، فأجابه أنه لم يتوفق بعد للقيام بهذا العمل الصالح « عتق العبيد » فانتظر حتى تمكن من شراء عبد ثم أعتقه وبعد أن مارس بنفسه هذا العمل أمكنه أن يدعو الناس اليه .

ثانياً : الشعور بالمسؤلية . .

عندما يفقد الخطيب الحسيني شعوره بالمسئولية الدينية والاجتماعية ويتحول إلى خطيب يستأكل من خطاباته ويمارس دوره الخطابي في المجتمع كمهنة يرتزق منها ، لا كدور رسالي يؤديه فإنه يخرج من دائرة الموالين الصادقين لآل البيت ويدخل في دائرة المنتفعين . وقد ورد في حق هذا الصنف من الخطباء أحاديث تدينهم وتحذرهم . فعن الإمام علي (عليه السلام) : (المستأكل بدينه حظه من دينه ما يأكله)[8]

وعن الإمام السجاد (عليه السلام) : (. . وإياك أن تترأس بنا فيضعك الله ، وإياك أن تستأكل بنا فيزيدك الله فقراً . .)[٩] .

وفي وصية المفضل بن عمر لجماعة الشيعة قال فيها قال : لاتأكلوا الناس بآل محمد فإني سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول : (إفترق الناس فينا على ثلاث فرق : فرقة أحبونا إنتظار قائمنا ليصيبوا من دنيانا ، فقالوا وحفظوا كلامنا وقصروا عن فعلنا ، فسيحشرهم الله إلى النار ، وفرقة أحبونا وسمعوا كلامنا ولم يقصروا عن فعلنا ، ليستأكلوا الناس بنا فيملاء الله بطونهم ناراً يسلط عليهم الجوع والعطش ، وفرقة أحبونا وحفظوا قولنا واطاعوا أمرنا ولم يخالفوا فعلنا فأولئك منا ونحن منهم . . .)[١٠].

وطبعاً ، لايفهم من ذلك إن الأحاديث والروايات تحرّم أخذ الخطيب أو الشاعر أجرة أو مكافئة مقابل ما يقدمانه ، إذ الأئمة (عليهم السلام) أنفسهم كان يهبون الشعراء والخطباء أموالاً وهدايا مكافئة لهم .

فالإمام زين العابدين (عليه السلام) أهدى مبلغ ألف دينار للفرزدق بعد إنشاده قصيدته المشهورة « هذا الذي تعرف البطحاء وطأته » . فردها الفرزدق وقال : إنما قلت ما قلت غضباً لله ولرسوله فما آخذ عليه أجراً . . فأجابه الإمام نحن أهل البيت لايعود إلينا ما أعطينا فقبلها الفرزدق . .[١١].

ويقول صاعد مولى الكميت : دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) فأنشده الكميت قصيدته « من لقلب متيم مستهام . . » فقال اللهم اغفر للكميت . . اللهم اغفر للكميت[١٢].

وقال ابن شهر آشوب في المناقب : بلغنا أن الكميت أنشد الباقر (عليه السلام) « من لقلب متيم مستهام » فتوجه الباقر (عليه السلام) إلى الكعبة ، فقال : (اللهم ارحم الكميت واغفر له ، ثلاث مرات) ، ثم قال : (ياكميت ! هذه مائة ألف قد جمعتها لك من أهل بيتي)[١٣].

وكذلك الإمام الرضا (عليه السلام) كافىء دعبل الخزاعي على القصائد التي قالها في حقه وحق آل البيت (عليهم السلام) بمبلغ كبير من المال إضافة إلى جبته الخاصة . وكذا كان حال سائر الأئمة (عليهم السلام) .

وإنما الإشكال في أن تتحول الخطابة وسيلة للإسترزاق والإكتساب فقط ، فلايخطب الخطيب إلا إذا ضمن مبلغاً من المال وبعد ذلك لايهمه أقام بدوره كدور تربوي وتوجيهي وخدمة للدين وهداية للعباد ، أم لم يقم !! . . تحقق الهدف من خطابته في توعية الناس وبث الفكر الاسلامي أم لم يتحقق !! . . إن هذا ليس بالخطيب الرسالي المطلوب . فالخطيب الحسيني الصادق هو الذي يشعر بآلام مجتمعه ويعي لمخططات الاعداء التي تحاك ضد خط أهل البيت (عليهم السلام) وبالخصوص في هذه المرحلة الحاسمة من الصراع

مع أئمة الكفر الذين سيطروا على سدة الحكم والإعلام والثروة ، فلابد أن ينتبه الخطيب لدوره الخطير ويؤديه بالصورة التي ترضي الله والإمام الحسين (عليه السلام) وترفع ظلامته وظلامة شيعته بنشر أهدافه ومبادئه والعمل على تحقيقها .

ثالثاً : الدور الاجتماعي . .

لكي يعرف الخطيب واقع المجتمع ويدرك مشاكله وثغراته لابد له من التواجد في الساحة الإجتماعية أما إذا عاش في برج عاجي وعلى هامش المجتمع فانه لايستطيع تشخيص حالات المجتمع ومعالجتها . .

وإذا كان الخطيب يحمل هموم المجتمع ويريد تحقيق الأهداف الإسلامية فلا يمكنه ذلك بمجرد الكلام والخطاب بل عليه أن يشمر عن ساعده وينزل ساحة التحرك والعمل الإجتماعي حسب متطلبات المرحلة . .

ولأن شخصيته محترمة بين الناس فإن تبنيه لأي مشروع أو قضية سيستقطب الناس نحوها ويساعد على إنجاز ذلك المشروع .

وأذكر أن أحد الخطباء الصالحين في بلادنا كان يعيش في قرية تعوزها الكثير من الخدمات الإجتماعية فبادر ـ جزاه الله خيراً ـ إلى تأسيس جمعية خيرية في قريته ودعا الناس من على المنبر وضمن خطابته الحسينية إلى التجاوب مع الجمعية ولأنه كان محبوباً عند الناس فقد تفاعل المجتمع مع المشروع وتكونت جمعية نشطة قامت بالعديد من

المشاريع والخدمات الإجتماعية وكان يدير أعمالها لعدة سنوات .

وخطيب آخر هو المرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبي رحمة الله عليه والذي تعرفه الجماهير المؤمنة عبر قراءته المميزة لمقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وتبثه العديد من الإذاعات يوم العاشر من المحرم كما تنتشر تسجيلاته في أغلب البيوت الحسينية . .

هذا الخطيب معروف عنه إهتمامه بالفقراء والمحتاجين في مجتمعه وخاصة عوائل المعتقلين والمجاهدين حيث يصرف أكثر مايصله من المال على مساعدتهم واقتداءً بالائمة عليهم السلام كان يتفقد أحوالهم ليلاً حتى لايعرفونه ومرة إستلم مبلغاً من المال بعد قراءة عشرة المحرم وفي الطريق إعترضه سائل محتاج فاعطاه كل المبلغ دون أن يعرف مقداره كما ينقل أحد العلماء المعاصرين له .

وكان يساهم بشكل فعال في جميع المشاريع والنشاطات الإسلامية تأييداً ودعماً مالياً وتحركاً عملياً ورغم كثرت المشاريع والمؤسسات الإسلامية التي كانت تعج بها مدينة كربلاء المقدسة آنذاك إلا أنه كان حريصاً على المشاركة في أغلبها . .

وقد آلمه أن يكون الاحتفاء بيوم عاشوراء واحياؤه مقتصراً على بعض طوائف الأمة وغير مطروح في وسائل الإعلام الرسمية والعالمية ليطلع المسلمون جميعاً على ماحدث لسبط نبيهم الحسين بن علي يوم عاشوراء ، فعمل بجد ونشاط وبالتعاون مع بعض العلماء

والشخصيات الوجيهة ، لكي يذاع نص مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) يوم العاشر ، عبر إذاعة بغداد وبالفعل وفقه الله لإنجاز هذا العمل العظيم في عاشوراء عام ١٣٧٩هـ فأذيع مرتين صباحاً ومساءاً لأن أربعة عشر ألف طلب برقي وهاتفي إنهال على وزير الثقافة والإرشاد العراقي ودار الإذاعة طالبة تكرار إذاعته وإستمرت هذه السّنّة الحسينية سنوياً إلى الآن وفي عدة إذاعات .

كما أسهم رحمة الله عليه بتربية جيل من الخطباء الحسينيين الصالحين بتعليمهم وتشجيعهم وتقديم تجاربه إليهم .

وقد توفي رحمة الله عليه منتصف جمادى الاول سنة ١٣٩٤هـ ولإخلاصه ومحبوبيته عند الناس فقد كان تشييعه مهيباً جداً ويقول شهود عيان : إن مراسم تشييعه كانت مشابهة تماماً لتشييع المراجع الكبار وأقيمت له مجالس التأبين في مختلف البلدان الإسلامية[١٤].

ومن الخطباء القدوات في هذا المجال حجة الإسلام والمسلمين المرحوم الشيخ عباس علي إسلامي من خطباء المنبر الحسيني الكبار في طهران ومختلف المناطق الإيرانية (ولد سنة ١٣٢١هـ ـ وتوفي بتاريخ ٢٥ / رجب/ ١٤٠٥هـ) . . فقد أسس هذا الخطيب أكثر من (١٨٠) مدرسة دينية تضم مايزيد على (٣٠) ألف طالب وطالبة في مختلف مناطق ايران ، كما انشأ (٦٤) مسجداً ، ومؤسستين لنشر الكتب الإسلامية إحداهما في بيروت والأخرى في طهران ، كما ربى

جيلاً من النساء المؤمنات ودرسهن العلوم الإسلامية وبعضهن قمن بتأسيس الحوزات والمؤسسات الدينية النسائية كالعالمة الفاضلة (خانم ميردامادي) والتي أنشأت مدرسة « مكتب الزهراء » والفاضلة (خانم خرازي) انشأت مؤسسة « المهدية للنساء » وكلتاهما في طهران .

وكان حينما يدعى للخطابة في منطقة ما يدرس وضعها ليحدد نوعية المؤسسة التي تحتاجها تلك المنطقة مسجداً أو مدرسة أو حسينية أو مؤسسة خيرية إجتماعية ثم يركز في مواضيعه بإتجاه تلك المؤسسة ويهيء الأجواء ويلتقي بالعناصر الفاعلة ويرسم معها خطة العمل فلا يغادر المنطقة حتى يضع حجر الأساس لذلك المشروع ويستمر في متابعته له .

وفي حركة المرحوم آية الله الكاشاني المعروفة كان له دور في تحريض الناس على معارضة السلطة وتوعيتهم بواقعهم السياسي ولذلك إعتمده آية الله الكاشاني ممثلاً ومندوباً عنه لزيارة مختلف المناطق والتجمعات وشرح ظروف الحركة لجماهير الشعب .

ومع كل هذه الأعمال والنشاطات فقد كان يولي قسطاً من إهتمامه للكتابة والتأليف فأنتج يراعه مجموعة من الكتب العلمية العميقة تزيد على (١١) كتاباً وبعضها يقع في عدة مجلدات .

وما كان طريق هذا العالم الخطيب مفروشاً بالورود والرياحين بل كانت تواجهه العقبات والصعوبات ولكنه يقابلها بهمة عالية وعزم

راسخ فقد اعتقل بسبب نشاطاته اثني عشر مرة .. كما أشاع عليه المصلحيون والرجعيون العديد من التهم فقالوا عنه أنه شيوعي ماركسي !! ونشروا هذه التهمة على نطاق واسع .. ومرة أخرى اتهموه بأنه عميل لبريطانيا ، كما سعوا لتحريك المراجع ضده فكانوا ينقلون عنه المواقف والأحاديث الكاذبة لآية الله الأصفهاني في النجف ولآية الله القمي في كربلاء وعبؤهما ضده والمرجع الديني لايعلم الغيب وإنما يمنح ثقته لوكلائه وجهاز عمله فإذا ماتواتر لديه النقل عن شخص معين فقد يجعله يتخذ موقفاً سلبياً تجاه ذلك الشخص !! (١٥).

هكذا فليكن خطباء المنبر الحسيني أوفياء لدم الحسين ينذرون أنفسهم لاعلاء كلمة الله وتحقيق أهداف ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) .

ولو أن كل خطيب في بلادنا يتبنى مشروعاً دينياً أو إجتماعياً لتطور وضع شعبنا وتصاعد مستوى وعيه وتدينه .

رابعاً : معالجة مشاكل المجتمع :

تعاني مجتمعاتنا الكثير من المشاكل وتحيط بها العديد من الأخطار ، والمنبر الحسيني هو وسيلتنا المؤثرة لتوجيه المجتمع وتوعية الجماهير ، والخطيب الرسالي هو الذي يعي هذه الحقيقة فيحوّل المنبر إلى مدرسة شعبيه ، يتناول من على أعواده مشاكل المجتمع والقضايا المطروحة في الساحة ، ويعالجها برؤية إسلامية توجيهية .

وبعض الخطباء مع الأسف يكررون مواضيعاً تأريخية أو إنشائية باهتة لاربط لها بواقع المجتمع ولامعاناة الناس . بل إن البعض يكرسون بخطاباتهم مفاهيم وأفكاراً سلبية قشرية تتناقض مع مبادىء ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) .

ويمكننا الإشارة إلى بعض المواضيع التي يحتاج إلى معالجتها عبر المنبر الحسيني ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ .

١ ـ تعميق روح التدين والتقوى في نفوس الناس : فزخارف الدنيا وزبرجها يكاد ينسي الناس آخرتهم ويبعدهم عن ربهم ، وإذا ما استعرض الخطيب قضايا الآخرة والإيمان بالله بإسلوب شيق واضح فان ذلك يترك أثراً كبيراً في نفوس الناس .

٢ ـ الوعي التربوي والأخلاق الإجتماعية : فمع خطورة موضوع تربية الأولاد وتأثيره على مستقبل الأمة ومع إهتمام التعاليم الإسلامية بهذا الموضوع إلا أن العوائل والأسر في بلادنا لاتمتلك أي وعي تربوي ولا ثقافة إسلامية في هذا المجال ، لقلة تناول هذا الموضوع من قبل الموجهين الدينيين ، مع أن الكتب العلمية والمصادر المشتملة على الروايات والنصوص التربوية متوفرة لدى الخطباء والعلماء ، كما لايثير تناول هذا الموضوع حساسيات سياسية حادة .

ويمكن إعتبار مجالس الشيخ الفلسفي التربوية التي القاها خلال شهر رمضان سنة ١٣٨١هـ في طهران وطبعت في مجلدين وترجمت إلى

اللغة العربية تحت عنوان (الطفل بن الوراثة والتربية) يمكن إعتبارها تجربة رائدة على خطبائنا الكرام الإستفادة منها وتطويرها بما يتلاءم مع التغييرات والظروف الخاصة بكل مجتمع .

وإلى جانب قضية التربية هناك مسألة الأخلاق الإجتماعية حيث تعج مجتمعاتنا بالمشاكل والخلافات والصراعات ، وحينما يهبط المستوى الأخلاقي لأي أمة يزداد تخلفها وإنحطاطها وقديماً قال الشاعر :

وإنما الأمم الأخلأق مابقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وفي مثل ظروفنا المعاشة فإن الأعداء يسعون بكل جهد لتمزيق وحدة مجتمعاتنا وبث الخلافات في أوساطها ليتمكنوا من الإستمرار في إذلالنا ونهب خيراتنا وليمنعوا من تحرك الشعوب وإنطلاقتها .

وعلى الخطباء الكرام أن يؤكدوا على وحدة المجتمع ويحاربوا عوامل التفرقة والصراع مهما كانت العناوين والألوان .

٣ ـ **الثقافة الرسالية** : ففي عصور التخلف تعرضت أكثر المفاهيم الإسلامية للتحريف والتشويه ، وكما يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : (ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوباً)[١٦] . فالدين لادخل له في السياسة والحياة ، والتقية تعني الخنوع والاستسلام للظلم ، وإنتظار الإمام المهدي (عجل الله فرجه) يعني السكوت وعدم

التحرك ، والتقليد صار مجرد الرجوع في المسائل العبادية للمرجع ، والقرآن الحكيم يقرأ للثواب وفي فواتح الموتى ولايجوز التدبر في آياته ، وتاريخ الائمة المعصومين سجلٍ دامٍ من المآسي والمصائب يتلى لإستدراك العبرات والدموع .. إلى آخره .

وقد آن لنا أن ننفض غبار التخلف عن ثقافتنا الإسلامية ، ونكنس ركام التحريف والتشويه عن أفكار ديننا ، لنتجاوز حالة الإنحطاط الشامل التي تعيشها الأمة ونشق طريقنا نحو الحضارة والتقدم .

والخطباء الحسينيون يمكنهم أن يلعبوا دوراً أساسياً في تصحيح المفاهيم الدينية في أذهان الناس ، ويكشفوا للمؤمنين حقائق دينهم ، وثقافة رسالتهم .

٤ ـ **التشجيع على أعمال الخير** : هناك الكثير من الحواجز والعقبات والعراقيل تحول بين الناس وبين أعمال الخير ، ولذا نرى المشاريع الخيرية والمؤسسات الدينية والإجتماعية تكاد تكون معدومة في مجتمعاتنا والموجود منها محدود في مجالات كبناء المساجد والحسينيات وإعانة الفقراء ، أما إبتعاث طلاب للدارسة الدينية ، أو طبع ونشر الكتب الإسلامية ، أو تكوين صناديق للقرضة الحسنة ، ومؤسسات لتزويج العزاب ، وتجمعات لإصلاح ذات البين .. وما أشبه من المشاريع المتطورة نسبياً فهذا ما لم تألفه أكثر مجتمعاتنا .

والخطيب الرسالي يتحمل مسؤولية تشجيع الناس على العمل

الصالح وضرب الأفكار التبريرية والسلبية التي تقعد بالناس عن العمل كاليأس ، وضعف الثقة بالنفس ، وعدم القدرة على التعاون ، ومحاولات التخريب والتثبيط لأي عمل . .

وإذا كانت الظروف مناسبة يمكن للخطيب أن يحّرض على أعمال معينة يرى ضرورتها وأهميتها لتلك المرحلة . .

٥ ـ التوعية السياسية ومقاومة الظالمين : فإلى متى تبقى جماهيرنا خاضعة للظلم ؟ ولماذا ترزح بلادنا تحت وطأة التخلف والفساد ؟ ثرواتنا منهوبة ، وحريتنا مصادرة ، إستقلالنا معدوم ، حرمات ديننا منتهكة !!

فمن المسؤول عن مواجهة هذا الواقع وتغييره ؟

هل كتب علينا أن نعيش هذاالواقع المأساوي إلى يوم القيامة ؟

أم هل ننتظر الملائكة أو الجن يقومون بالثورة والتغيير في أوضاعنا ؟

لاشك أن شعوبنا مسؤولة عن الواقع المعاش ، وقادرة على مواجهته وتغييره . .

إن ما ينقص جماهيرنا هو الوعي السياسي والتحريض على الثورة والجهاد . .

وأرفع درجة يرتقيها الخطيب الحسيني فيقترب فعلاً من موقف الإمام الحسين (عليه السلام) هي أن يقوم بهذا الدور ، فتكون

مجالسه منطلقاً للتحرك ومنبراً للتوجيه الثوري ألم يقل نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) : (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) .

وهذا المستوى من الخطابة الثورية يحتاج إلى ظروف مهيأة تتوفر في بعض مجتمعاتنا وتحتاج إلى وقت في البعض الآخر .

ويحكى عن أحد الخطباء الرساليين في طهران أنه كان يزعج حكومة الشاه المقبور بخطاباته الثورية فمنعته السلطة من الخطابة ثم جاء رئيس جهاز المباحث « السافاك » لمقابلته وعرض عليه أن يتعهد بتغيير نوعية مواضيعه ليسمح له بالخطابة فرفض الخطيب العرض بكل عزة وإباء فهدده رئيس « السافاك » بأن الحكومة تمتلك مشانق للإعدام وسجوناً للإعتقال ويمكنها تسفيره وإخراجه من الوطن !!

فأجابه الخطيب المجاهد قائلاً : إنني لا أخشى تهديداتكم فأما القتل فشهادة وأما السجن فعبادة وأما التسفير فسياحة . .

٦ ـ **الأصالة والتحديث** : لقد خلف لنا الائمة المعصومون (عليهم السلام) كنوزاً عظيمة وخزائن واسعة من المعارف والحقائق الدينية والدنيوية ، بالإضافة إلى القرآن الحكيم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وسنة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) .

ومع كل هذا التراث العظيم نجد أن خطابات خطبائنا فارغة المحتوى ، تعاني من الجفاف والخواء ، تكاد تكون مواضيع إنشائية ،

تصطف فيها الكلمات والجمل دون أن تقدم للناس بصائر دينهم ومعارف رسالتهم .

وبعض الخطباء يحشد في خطاباته كلمات من الشرق والغرب ، ويتحدث عن المخترعين والمكتشفين الماديين ولكنه قلّما يرد مناهل المعرفة والرشد ، ويغترف من حياض الهداية والحكمة الالهية . .

إن آيات القرآن الحكيم وسيرة الرسول الأعظم والائمة الطاهرين وكلماتهم النيرة ، تضفي على المجلس أجواء البركة والتوفيق ، وتجعل الكلام أكثر تأثيراً ووقعاً في النفوس .

ولا نقصد بذلك أن يكون الموضوع مجموعة مزدحمة من الآيات والروايات فقط دونما تحليل وتوضيح أو ربط مع الواقع المعاش . .

فكما هو مهم الحفاظ على الأصالة الفكرية يجب الإنفتاح على منجزات العلم وأحداث العالم . .

وإذا ما تكامل الجانبان بمناقشة قضايا العالم المعاصرة ومكاسب العلم الحديث من منظار الآيات والنصوص الدينية ، وبإستعراض وتحليل الآيات والأحاديث على ضوء العلم والتقدم الحضاري ، فإن الموضوع سيكون شيقاً للمستمع ومؤثراً في المجتمع .

مرة قرأ أحد الخطباء الإيرانيين مجلساً شيقاً حول الحديث المروي عن زرارة بن أوفى قال : دخلت على علي بن الحسين (عليهما السلام)

فقال : (يازرارة الناس في زماننا على ست طبقات : أسد ، وذئب ، وثعلب ، وكلب ، وخنزير ، وشاة . فأما الأسد فملوك الدنيا يحب كل واحد أن يغلب ولا يغلب .

وأما الذئب فتجاركم يذمّون إذا اشتروا ، ويمدحون إذا باعوا .

وأما الثعلب فهؤلاء الذين يأكلون بأديانهم ، ولايكون في قلوبهم ما يصفون بالسنتهم .

وأما الكلب يهُرّ على الناس بلسانه ، ويكرهه الناس من شر لسانه .

وأما الخنزير فهؤلاء المخنّثون وأشباههم ، لايدعون إلى فاحشة إلا أجابوا .

وأما الشاة فالذين تجر شعورهم ، ويؤكل لحومهم ، ويكسر عظمهم ، فكيف تصنع الشاة بين أسد وذئب وثعلب وكلب وخنزير ؟[١٧].

وشرع الخطيب القدير في ذكر خصائص كل واحد من الحيوانات المذكورة حسب آخر الدراسات العلمية الحديثة وتطبيق تلك الخصائص على ماورد في النص الشريف والإستشهاد بالقصص التاريخية والأحداث المعاصرة . . فكان موضوعاً ممتعاً ومفيداً جداً حيث إشتمل على الحديث عن الملوك والحكام وتشبثهم بالسلطة وعدم

تورعهم عن القيام بأي جريمة للإحتفاظ بعروشهم ثم الحديث عن التجار والدور السيء الذي يلعبونه في حياة المجتمع إن لم يلتزموا بتعاليم الإسلام ... وهكذا إلى آخر ما أشار إليه حديث الإمام زين العابدين (عليه السلام) عن إبتلاء المؤمن ومحنته في ظل الطغاة الجائرين .

إن مواضيعاً تجمع بين الأصالة الدينية والإنفتاح العلمي الحديث لهي المناسبة لظروف مجتمعاتنا وعصرنا الحاضر ..

وفي الختام بعض المقترحات :

نظراً للدور الخطير الذي يلعبه الخطباء في ساحة جماهير الأمة ونظراً للظروف المصيرية والحساسة التي يمر بها الإسلام ، لابد من التوجه والإهتمام لمستوى الخطابة والخطباء ، ليسهموا في نهضة الأمة ومقاومتها لواقع التخلف والتبعية والفساد .. وهنا بعض المقترحات في هذا المجال أرجو أن تسترعي انتباه القيادات الدينية والجهات المسؤولة الفاعلة في الساحة :

١ / مناقشة قضية الخطابة والخطباء عبر ندوات ومؤتمرات متخصصة وأن تبدي قيادات الأمة ومفكروها وعلماؤها توجيهاتهم لرفع مستوى الخطابة والخطباء .. ومؤسف جداً أن لانرى بحوثاً ولا دراسات مطروحة حول هذا الموضوع المهم .

٢ / أن تحتوي الحوزات العلمية والمدارس الدينية على برامج

ومناهج لتربية الخطباء وتطوير مستوياتهم ، أو تخصيص بعض المدارس لتخريج الخطباء الكفوئين

٣ / لقاءات الخطباء في كل منطقة أو مدينة مع بعضهم البعض شيء مفيد جداً لتبادل التجارب والخبرات ، ولتدراس أوضاع المجتمع ،ولإتخاذ مواقف موحدة أو متقاربة مما يجري على الساحة .

يقول الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) : (ماتشاور قوم إلا هدوا إلى رشدهم)[١٨]

ويقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : (حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء ، ويضم إلى علمه علوم الحكماء)[١٩].

٤ / أن يسعى كل خطيب ناجح إلى تربية جيل من الخطباء الناشئين بتشويقهم وتشجيعهم وإفادتهم من تجاربه وخبراته .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق العاملين المخلصين لإنقاذ الأمة من حضيض التخلف ، ولإعلاء كلمة الله في الأرض ، وأن يجعلنا من خدّام الإمام الحسين الذين يسعدون بشفاعته يوم القيامة . . إنه ولي التوفيق .

الهوامش

(١) حياة الامام الحسين ج ٣ ص ٣٨٥ للقرشي .
(٢) الصف ٢ ـ ٣ .
(٣) البقرة ـ ١٤ .
(٤) المعجم المفهرس لنهج البلاغة ١٠٨ .
(٥) الحياة ج ٢ ص ٢٧٨ للحكيمي .
(٦) الحياة ج ٢ ص ٢٧٨ للحكيمي .
(٧) كلمة الله ص ١٦٠ .
(٨) الحياة ج ٢ ص ٣٢٨ .
(٩) الحياة ج ٢ ص ٣٢٨ .
(١٠) تحف العقول ص ٣٨٤ .
(١١) في رحاب ائمة أهل البيت ج ٢ ص ٢٠٦ .
(١٢) الحياة ج ٢ ص ٢٦٠ .
(١٣) الحياة ج ٢ ص ٢٦١ .
(١٤) الحسين قتيل العبرة ص ٩ـ١٥ .
(١٥) من ترجمة مفصلة كتبها « السيد محمد مختاري مقدم سبزواري » عام ١٣٩٥هـ باللغة الفارسية كمقدمة لكتاب « دو از ياد رفته » للشيخ اسلامي .
(١٦) المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة ص ٤٠ .
(١٧) بحار الانوار ج ٦٤ ص ٢٢٥ .
(١٨) ميزان الحكمة ج ٥ ص ٢١١ .
(١٩) ميزان الحكمة ج ٥ ص ٢١١ .

الفهرست

كلمة الناشر ٦
المقدمة ٩
ظروف الثورة ١٣
الموقف الثوري .. والمواقف الخائنة ٢٥
منطلقات الثورة ٤٣
اهداف الثورة ٥٧
مسؤولية الثورة ٦٥
رسالة المجالس الحسينية ٨٣
كيف نستثمر المجالس الحسينية ٩٧
مواصفات الخطيب الرسالي ١٠٥

من هذا الكتاب

إن الإيمان الصحيح يرفض الخضوع للظلم والإستسلام للباطل ، والسكوت على الجور والإنحراف

الإيمان يقول : كونوا للظالم خصماً وللمظلوم عونا

ويقول أيضا : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولاقول كان حقا على الله أن يدخله مدخله .

ويقول : الساكت عن الحق شيطان أخرس .

ويحث القرآن على الجهاد في سبيل الله ، والنضال من أجل الشعب المضطهد يقول تعالى : ﴿ وما لكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين ﴾ .

ولكن القلة من الأمة هي التي تنطلق من الإيمان في مواقفها وتتحلى بالبطولة وتصمم على التضحية . وحتى هذه القلة تحتاج إلى طليعة تنير لها طريق النضال وتثير في نفوسها دوافع الجهاد والثورة . ومن أولى من الإمام الحسين بالتزام موقف الإيمان والجهاد ، وبشق طريق التضحية والنضال يقول (عليه السلام) وأنا أحق من غيري .

دار البيان العربي
حارة حريك - خلف بنك بيروت والبلاد العربية - بناية سيتي ط ٣ . ت٨٢١١٤٢ - ص . ب ٢٥/٩٧ و ٢١٣/٥٧٨٩ بيروت - لبنان تلفاكس ٨٦٣٤٦١ تلكس BACHAIR LE ٢٢١٧